# رؤية فنية
# للإبداع الشعري عند محمد مصطفى الماحي

بحث بقلم

د / عبير عبدالصادق محمد

**المدرس بقسم الأدب والنقد**

**بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية**

بسم الله الرحمن الرحيم

(( **تقديم** ))

آثرت أن أخصص هذا البحث لدراسة الإبداع الشعرى عند " **محمد مصطفى الماحى** " ، فالماحى شاعر متميز بإبداعه المبكر، وقد نادى منذ صدور طبعة ديوانه الأولى ، بأن الشعر العربى يجب أن تبقى الصلة قائمة بين ماضيه التليد وحاضره الجديد ، وأن يُعنى فى نسجه ونهجه بمتانة الأسلوب ، وروعة الديباجة وأصالة المعنى ، وسلامة الذوق ، ووضوح الأداء ، مع دقة التصوير وإبداع الخيال ، وقال إنه لا يمج القديم لأنه قديم ، ولا يُبغض الجديد لأنه جديد، ولكنه يأخذ الأحسن من كل منهما ، وسجل هذا الرأى منذ ذلك الوقت فى قصيدة[١] قال فيها[٢] :

**كم فى القديم جديدُ الحسن مؤتلقٌ ... يُولِيكَ من قَسمات الحسنِ أَلــوانا**
**إمَّا بعثنا على الأيام جـــــدَّتَهُ ... أَوْ فَى على جُدُدِ الآداب مِــيزانا**
**وكم جديدٍ نعمنا من نضارتِـــــه ... فى أبهج الروضِ أطياراً وأفــنانا**
**كلاهما تملأُ الدنيا محـــــاسنُه ... وتستجدُّ به الآدابُ إحسانـــــا**

ولقد كان حريصاً أشد الحرص على البعد بألفاظ شعره عن التَّعمُّل والإغراب، وبمعانيه عن الإغلاق الإغراق ، لأن الشعر فى حسبانه ليست رياضة علمية، ولا ألغازاً تحل، أو طلاسم ومُعمَّيات تتعب فى مرادها العقول ، وتكل عن فهمها الأذهان، كما أنه ليس مقصوراً على مناجاة الطبيعة، والسبح فى

(١) قصيدة " تحيّة العروبة " .
(٢) الديوان / ٣٨ .

العوالم والأكوان، إنما هو معان وشعور وعواطف، وأحاديث للقلب يبين عنها اللسان[١] .

والماحى شاعر يقظ الشاعرية، منتبه الوجدان، دقيق الحس، لمَّاح النظر، قوى العاطفة، فهو شاعر عربى مصرى، يصل ما بينه وبين أسلافه السابقين بسبب متين، ويستلهم بيئته، ويستوحى أجواءها، فتفيض عليه بالمعانى الجليلة المبدعة فى مختلف الشئون[٢] .

والذين يعرفون الشاعر عن كثب، يرون فى شعره شفافية روحه، وصراحة طباعه، فحياته الإنسانية وحياته الفنية لا اختلاف بينهما فى العرض والجوهر، وتلك إحدى الميزات القيمة التى لم يحظ بها إلا القلائل من الشعراء، فإذا حاولت أن تستشف نفسه وما يعتمل فيها من شعره، لن يعييك البحث، ولن تلتوى بك الطرق، وإنها تلتمس أحاسيسه ومشاعره فى طوايا قصائده، دون أن تبذل إلا أيسر الجهد، فشعى مرآه صافية لنفسه كما أنه منارة ساطعة عصره، كما يقول الأستاذ عزيز أباظة .

وقد عبر الشاعر عن نفسه أروع تعبير، وأبلغ تصوير فى قصيدته " نفس حرة "[٣] وفيها يقول :

**فللّه نفسٌ حرَّةٌ لا تَهِـــــــيجُهَا ... أَذاةٌ ولا تُفْشى الخُطوبُ لها سِـــرَّا**
**صفوحٌ إذا رامَ المُسئُ هـــياجَها ... وتفدى فِداءَ الحــر موطنَها الحرا**
**إذا رضيتْ كانتْ على الناس رحمةً ... وَإنْ غضــبتْ لم تحملِ الحقدَ والمكرا**

(١) انظر مقدمة الديوان .
(٢) راجع الديوان / ٣٢٦، ٣٣٢ .
(٣) الديوان / ١٠٠ .

صَفَتْ كزلالِ الــماء لَوْناً ورقةً وطابت كطيبِ العود– إن يحترق –شرا
تراءَتْ لها الدنيا كأبشع ما تُرَى فما احتدَمتْ غيظاً ولا اضطرمَتْ جمرا
تمرُّ بها الآمالُ حَسْرى كلـــيلةً فتحمدُ ما تَلْقَى وتقـــــنعُ بالذكرى

وقد اتخذ الماحى لشعره مساراً وسطاً بين القديم والجديد، فجمع بين الأصالة والمعاصرة . ونتيجة لذلك حاولت الوقوف على دراسة شعر الماحى، لأنه شعر جدير بالدرس والتمحيص، وفى نقده ودرسه تقريراً لمبادئ وأسس نحن فى أمس الحاجة إليها فالمجتمع الحاضر لفى أمس الحاجة إلى الشعر الذى يعالج النفوس من أدرانها، وينشر الأخلاق ويقومها، ويشيد بالمبادئ وينميها .

هذا والبحث مقسم إلى قسمين يسبقهما تقديم عن سبب اختيار البحث، وتمهيد عن الشاعر وثقافته وأثرها فى شعره، وعوامل شاعريته، وأهم السمات المميزة لشعره .

أما القسم الأول : فيتناول الرؤية الشعرية فى موضوعات الشاعر وما تناوله من قضايا .

والقسم الثانى : يتضمن السمات الفنية للقصيدة عند الماحى ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج، وبعدها ثبت المصادر والمراجع .

﴿ . . رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

# تمهيد

**لمحة عن حياة الشاعر** :

ولد محمد مصطفى الماحى فى الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٨٩٥م بمدينة دمياط، وقضى عهد طفولته وصباه حتى بلغ فجر الشباب فنزح عنها، ولكنه ظل شديد الحنين إليها، وكلما أسعدته الأيام بزيارتها طاف بمعاهد طفولته ومراتع هواه . ونشأ فى كنف والدين من أوساط الناس، فما كانا من طبقة الأغنياء الذين ينعمون بالمال والجاه، وما كانا من الكادحين لكسب ما يقيمون به أود الحياة وكان والده مرموقا فى بيئته ؛ لأنه تعلم القراءة والكتابة والحساب كأحسن ما يتعلمه رجل ولد فى الحلقة السابعة من القرن التاسع عشر حين لم تكن هناك إلا كتاتيب، وكان يعمل وكيلا لملتزم مصايد الأسماك فى بحيرة المنزلة وغيرها، وكان إلى جانب عمله محبا للإطلاع مقتنيا للكتب . حرص هذا الوالد الطموح على تعليم ولده، فألحقه بكتّاب فى دمياط كان يعرف بكتّاب " الرمالى " أنشأه صاحبه لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم بعض المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وأمضى به سنة حفظ فيها أجزاء من القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مدرسة نظامية تعرف بمدرسة " الحزاوى " ولبث فيها قرابة سنتين كان لهما أثر كبير فيما قر فى نفسه من أن النجاح فى الحياة لا يكون إلا بقوة الإيمان بالله والثقة به وبمكارم الأخلاق ، عين فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١١م بقلم السكرتارية فى وزارة الأوقاف ، وكان يرأسه الكاتب الكبير السيد " محمد المويلحى " ، وكان هذا القلم يعد مجمعا للأدباء، إذ ضم طائفة من أشهر الكتاب والشعراء فى ذلك الوقت ، من بينهم الكاتب " عبد العزيز البشرى " والشعراء " أحمد الكاشف " و" عبد الحليم المصرى " ثم انضم إليهم بعد زمن قصير

الكاتب الشاعر " عباس محمود العقاد " كما انضم إللى القلم فى فتـــرات تاليـــة غيرهم من الأدباء منهم " حسين الجمل " .

وكان جمع هؤلاء الأدباء والشعراء فى قلم واحد أمرا لافتا للنظـــر فلـــم جمعوا ؟ كانت اللغة العربية قد تدهورت تدهوراً شديداً فى عهد الحكم التركـــى بضعة قرون، وكذلك فى عهد المماليك حتى أصبحت اللغة المكتوبة خليطاً مـــن العربية الممزوجة بالعامية والتركية، ولما وقع الاحتلال الفرنسى أراد أن تكون الغلبة للغة الفرنسية، فجاهد فى ذلك ما جاهد، ثم تبعه الاحتلال الإنجليزى فطارد التركية والفرنسية والعربية معاً، وجعل اللغة الإنجليزية لغة التعليم ليقضى على غيرها من اللغات .

فلما أفاقت مصر من صدمة الاحتلال البريطانى الذى وقع ســـنة ١٨٨٢م وعاد إلى نفوس الأهلين بعض الاستقرار طالبوا فى إصرار بجعل اللغة العربيـــة لغة التعليم الأساسية، وتحقق ذلك فبدئى بتدريس العلوم العربية منذ عام ١٩٠٨م . على أن الأزهر كان فى جميع العهود هو الحارس للعلـــوم الإســـلامية واللغـــة العربية، فضلا عن قيامه بدور كبير فى خدمة الإسلام ونشـــره، وفـــى الكفـــاح القومى والعربى على مر الدهور فكان منارة يهتدى بهـــا، ومصـــدراً لتخـــريج طبقات من العلماء المبَّرزين المنافحين عن الوطن والدين .

وتبع اضطراب اللغة فى البلاد فساد لغة الدواوين حتى آلت إلى الركـــة والتفاهة، وديوان الأوقاف واحد من الدواوين التى عانت هذا النقص إلى جانـــب سوء اختيار العاملين، فاتجه ألو الأمر إلى رفع مستوى التحرير بالعربية فيـــه، ووقع الأختيار عام ١٩١٠م على الكاتب " محمد المويلحى " ليكون رئيساً للقسم،

واستعان فى عمله بهؤلاء الأدباء البارزين، إلى جانب تيسير أسباب العيش لأكثرهم .

وقد اتصل " الماحى " بالسيد " محمد المويلحى " وعمل تحت رياسته قرابة أربع سنوات، ثم كان اتصاله به بعد ذلك صلة بنوة وافية لأبوة عطوفة موجهة حانية . فقد كان يعرض عليه ما يصوغه من شعر فى مستهل حياته الأدبية، فكان يصحح له فى الألفاظ، ويُقّوم من الأسلوب والمعانى .

كما عمل الشاعر أول عهده بالعمل فى قسم الإدارة مساعداً للأديب الكاتب الأستاذ " عبد العزيز البشرى " وهؤلاء هم الزملاء من الأدباء والشعراء الذين توثقت العلاقة بين الكاتب وبينهم أول عهده بالعمل الحكومى، وكان لذلك أثر ملحوظ فى تنمية الأدب وملكة الشعر عنده وبتحويل ديوان الأوقاف إلى نظارة ثم إلى وزارة صحبه انفراط عقد من جمعهم قسم الإدارة من الأدباء والشعراء واحداً بعد واحد، ولم يبق من هذه الزمرة إلا شاعرنا فخلف الشيخ " عبد العزيز البشرى " فى العمل الذى كان يؤديه فى سكرتارية المجلس الأعلى، وخلف الشاعر " عبد الحليم المصرى " فى سكرتارية مجلس الإدارة، وأسند إليه فوق ذلك أمانة سر مجلس التأديب .

تزوج من بيت علم ودين من أسرة من دمياط، أجدادها تولوا مشيخة المدرسة المتبولية الدينية منذ مئات السنين، وكان بين والد الشاعر وبين رب هذه الأسرة قرابة بعيدة تؤكدها صداقة متينة ، واختير الشاعر سنة ١٩١٨م سكرتيراً ثانياً لمجلس الأوقاف الأعلى إلى جانب أعماله الأخرى، فكان هذا الاختيار من الأسباب التى دفعت الوزارة إلى رفع أمره إلى هذا المجلس لترقيته درجة

بطريق الاستثناء " لأنه يقوم بأعمال شتى كلها هامة برهن فيها على كفاية واستعداد يجعلانه أهلا للترقية " .

وبهذا تحطم القيد الذى كان يقيده به مؤهله الدراسى، وانفتحت أمامه أبواب الترقى . فاختير عام ١٩٣٢م وكيلا لرابطة الأدب العربى التى كانت تحظى بمعونة وزارة المعارف العمومية وقتذاك .

وقد كانت الفترة التى قضاها الشاعر بين سنة ١٩٣٠م وسنة ١٩٣٥م من أخصب أيامه أدبا وأكثرها إنتاجاً، وأعونها على إبراز شخصيته الفنية، ولم يعكر صفو حياته خلال هذه الحقبة سوى وفاة صغرى بناته " هدى " سنة ١٩٣٣م وهى لم تعد الرابعة، فدمى لها قلبه، وسكب دموعه فى قصيدتين أولها " إلى روح ابنتى "[١] ومطلعها :

**لم عَجَّلَتْ نحو المنونِ خُطاكِ ... يا وردةً سَلمتْ من الأشواكِ ؟**
**يا زهرةً ما كان أروعَ طيبها ... فارقتنى فحُرمت طيبَ شذاكِ**

والثانية " الذكرى "[٢] ومطلعها[٣] :

**كَبِدِى عليك تحيتى وسلامى ... هذا مُقامك هل عرفت مقامى ؟**
**أمضى القضاءُ إليك سهما نافذا ... قَرَّت ذُؤابَتُه بقلبى الدامى**

وفى سنة ١٩٣٦م رشح خبيراً لتنظيم شئون أوقاف العراق، وقد رحب الشاعر بهذا الترشيح أعظم ترحيب، بالرغم من صعوبة المهمة ومشاقها لعلمه بمشاكل الأوقاف وتنوع أعمالها، وتمثل إحساسه هذا فى نكته جرت على لسانه

---

(١) الديوان/٢٨٥ .
(٢) انقضت أيام وأقبل العيد، فزار قبرابنته فعاودته الذكرى .
(٣) الديوان/٢٨٦ .

مع صديقه الأديب " كامل كيلانى " وكان من بين مودعيه يوم سفره إلى العراق فقال له : أرنا همتك يا بطل لعلك تمصرهم !! فأجابه : والله يا أخى أنا خايف يعرقونى !!

وقد أدى شاعرنا مهمته بنجاح على الرغم مما قابله من صعوبات، وقد أبلغت المفوضية المصرية فى العراق بهذا وزارة الخارجية المصرية بكتاب، وتوَّجتَ حكومة العراق تقديرها عمل الخبير بمنحه " وسام الرافدين " فكان أول مصرى منح هذا الوسام . وعرج الكاتب أثناء عودته إلى وطنه على لبنان وقضى فى ربوعه أسبوعا للراحة والاستجمام وزار بعض مصايفه الجميلة، ثم وصل الإسكندرية يوم ١٤ اكتوبر عام ١٩٣٨م ورقى الكاتب سنة ١٩٤٨م إلى الدرجة الأولى، وجعل لقب وظيفته المراقب العام للإدارة والخدمة الاجتماعية، وفى عام ١٩٥٥م كان قد سئم حياة الوظائف وما فيها من قيود وسدود بعد أن أمضى واحدا وأربعين عاما فى عمل متصل وفى كفاح مرير، واستقبل حياته الجديدة بقصيدة قال فى مطلعها[١] :

**هلْ آن للبُلْبُل الصَّدَّاح تَغْريدُ ؟ أَمْ حانَ للنَّغمِ المكبوتِ ترديدُ ؟**

وانطلق الشاعر إلى فضاء الحرية، فجاشت نفسه بمعان جديدة للحياة ، وتفتحت أمامه أغلاق كانت تحول دونها تلك القيود والسدود ، فناجى الوطن ، وأشاد بالثورة الحديثة ونهضتها العظيمة بالبلاد، وسجل حسناتها ، مهيبا بالشعب لانتشال البلاد من رباق الإستعمار ، كما أنه سجل انتصارها فى معركة بورسعيد الباسلة .

(١) من قصيدة " عودة شاعر " الديوان/١٤٩ .

ولم يكن هذا التطور الأدبى غريباً ؛ لأن الثورات تتمخض دائما عن الأدباء فهم الذين عانوا أكثر من غيرهم فى العهود الماضية، لأنهم أكثر حساسية من غيرهم، وعلى قدر الحساسية يكون الشعور وتكون الشاعرية .

ويسر الله له السفر إلى الأقطار الحجازية فأسعده بزيارة مثوى النبى ﷺ، واشترك عام ١٩٦١م فى زيارة الأقليم الشمالى حين أرسله المجلس الأعلى للفنون والآداب ضمن فوج من الأدباء والشعراء، كما اشترك فى مهرجان الشعر الرابع الذى أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب فى الإسكندرية عام ١٩٦٢م، ومثل فيه محافظة دمياط، وألقى قصيدته " الكوكب الجديد فى عالم الفضاء "[١] وكانت وفاته فى السابع من نوفمبر عام ١٩٧٦م .

❁❁❁

كان شاعرنا حريصاً منذ نشأته بهدى من أبيه، وتشجيع من أساتذته على اكتساب أقصى ما يتيسر له الوقوف عليه من الأدب العربى قديمه وحديثه، وقد كان من أثر هذا كله أن تغلغل حب الاطلاع فى نفسه من صغره حتى دفعه إلى قراءة ما يتيسر له شراؤه أو استعارته من كتب، وبخاصة ما اتصل منها بالأدب نظماً ونثراً، وكان من أثر شغفه بالقراءة أن قويت فى نفسه غريزة جمع الكتب طوال حياته حتى تكونت لديه مكتبة زاخرة بفنون شتى من العلوم والآداب من بينها مئات من دواوين الشعراء القدامى والمحدثين واتسع له بوجوده فى القاهرة مجال الإطلاع على العديد من كتب الأدب التى يتمكن من اقتنائها، أو التى يسعى إلى الإطلاع عليها فى دور الكتب عامة وخاصة، ويضاف إلى هذا حرصه على الانتفاع بما تنشره الصحف والمجلات من الأدب بصناعيته، وكذلك

(١) الديوان/٦٨ .

ما تيسر له الوقوف عليه من الأدب الغربى فى اللغة الإنجليزية، وكان جُلُّ اهتمامه موجها إلى الشعر، وكان يقضى فى القراءة كل يوم ساعات ويخصص كراسات يدون فيها ما اختاره من شعر أو نثر، ويعود إليه بين وقت وآخر ليزيد من تفهمه . وعلى هذه الأسس تكونت ملكته الأدبية منذ نشأته .

وبعد فحين نتحدث عن " حياة الشاعر " فإننا لا نعنى تصوير نفسه، وقدرته الذهنية، ومشاعره وأفكاره فحسب، وإنما نحاول أن نرسم شخصية الشاعر الأدبية بآرائها وأفكارها هى، بحيث نجتهد فى نقل المحيط الذى نمت فيه، والتربة التى مهدت لهذا النمو ، حتى تصبح الصورة لصاحبها معبرة عنه[١] .

❁❁❁

**هذا وقد كانت هناك عوامل كثيرة كان لها أكبر الأثر فى شاعريته منها :**

مولده فى بيت غلبت عليه الصبغة الدينية، فالرجل هو رب الأسرة والمسئول عن رعيته، وله عليهم حق الطاعة من زوج وولد وهو لا يغمطهم حقهم، والمرأة تدين بالطاعة لزوجها عن رضى واختيار .

ولنشأة الماحى فى دمياط ، وتأثره بشعرائها ومن بينهم الشاعر المطبوع " على العزبى " أثر كبير فى شعره وشاعريته، وكانت دمياط بمدرستها المتبولية مركزاً من مراكز الثقافة والشعر فى مصر، فى أوائل القرن العشرين . وقد أدرك الشاعر عصر ازدهار هذه المدرسة، وشعراءها الكبار من أمثال : على الغاياتى، وعلى العزبى، وعبد اللطيف النشار وغيرهم .

وكان والده يحثه على القراءة فيما اقتناه من كتب أدبية، ويشرح له ما يغمض عليه، قدر ما يسعه جهده ويصل إليه علمه، ثم أعقب ذلك توجيه العناية

(١) انظر فى النقد الأدبى / د/ شوقى ضيف / ط / دار المعارف/٦٨ .

إليه من أستاذ اللغة العربية فى المدرسة، فقد كان يشجعه، ويحسن ترشيده، ويهدى إليه الكتب القيمة فى الأدب والتاريخ .

ثم كان لقراءته الواسعة، ولثقافته الأدبية الكبيرة، ولتجاربه فى الحياة، وحياته فى صميم زحامها، أثر فى شعره وشاعريته .

ولقد تلقفته بيئة الأدب والشعر فى وزارة الأوقاف، وأثرت فى طبعه الشعرى تأثيراً كبيراً، وكان من أعلامها : محمد المويلحى صاحب " حديث عيسى بن هشام " وعبد العزيز البشرى، وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصرى، وعباس محمود العقاد، ومحمود عماد، وكامل كيلانى، وحسن الدرس، وعلى شوقى .

كما أنه عكف على دراسة شعر المتنبى وأبى تمام والبحترى، كما عنى بقراءة شعر أبى العلاء فى سقط الزند، وشعر ابن زيدون، والبهاء زهير لتشبعه بالروح المصرية وغير هؤلاء من قدامى الشعراء فى مختلف العصور .

وكذلك اتصل من قرب بشتى المدارس الفكرية، وعاصر مختلف المدارس الأدبية والشعرية، وتأثر بها واحتذاها فى شعره وأخذ عنها من مدرسة الفحول من الأدباء والشعراء كالمويلحى، والبشرى والرافعى، والكاشف، والغاياتى، والعزبى، إلى مدرسة المجددين كمطران والعقاد وطه حسين والمازنى وأبى شادى ومن الكلاسيكيين إلى الرومانسيين، وكان كالنحلة الدائبة الحركة تجمع الرحيق من شتى الأزاهير، وتحيله غذاء شهيا لذيذا .

ومن ثم وجدناه من أعضاء رابطة الأدب الجديد ( ١٩٢٩م – ١٩٣٢م ) فجماعة أبولو التى قامت عام ١٩٣٢م، فجماعة أدباء العزوبة، فرابطة الأدب الحديث، واختير عضوا فى لجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب،

وعمل مقررا لهذه اللجنة حتى وفاته، وكانت فترة عمله فيها من أخصب الفترات فى حياة هذه اللجنة(١) .

ثم سفره إلى العراق، هذا البلد العربى الحبيب، الذى يربطه بمصر مختلف الروابط والصلات، وقد قرأ عنه كثيراً فى دراساته الأدبية وله فى مخيلته منذ حداثة سنة صور لطيفة وعجيبة .

وأخيراً تفرغه من تبعات العمل، فدق أتاح له ذلك مجالاً فسيحاً للحرية والإبداع فى عالم الأدب والفكر .

❁❁❁

**السمات المميزة لشعره** :

كان الماحى يشبه حافظاً شاعر النيل، فى أسلوبه وديباجته، وفى كلاسيكيته وعموديته الرائعة، وفى توفره على الشعر الوطنى والاجتماعى والعربى والإسلامى .

والماحى شاعر عالى المنزلة بين شعراء طبقته، هذه الطبقة التى ورثت طبع البحترى، وعذوبة الشريف الرضى، ورقة البهاء، وبلاغة الباوردى، وشاعرية شوقى وحافظ، وهى طبقة ورثت مجد الشعر العربى بعد البارودى وشوقى(٢) .

---

(١) انظر الأدب العربى الحديث / د/ محمد عبد المنعم خفاجى / ط / مكتبة الكليات الأزهرية / ١٣٤/١ .

(٢) المرجع السابق /١٣١ .

ويمتاز شعر الماحى بأصالة الطبع، وصفاء الروح، كما تجد فى شعره صولة الحب، وثورة العاطفة، ويقظة الشاعرية، ونزعته إلى الحرية، وإيثاره للحكمة .

أما ديباجة الماحى فديباجة صافية ذات روح حلوة خفيفة، لا يحس القارئ فيها بعدا عن شخصية صاحبها(١)، ولعل فى هذين البيتين(٢) أصدق صورة عنه :

**فلله نفسٌ حرة لا تهيجُها أذاةٌ ولا تُفْشى الخطوبُ لها سراً**

**إذا رضيتْ كانت على الناس رحمةً وإنْ غضبتْ لم تحملِ الحقد والمكرا**

أما أسلوبه الموسيقى، فهو أسلوب غنائى له جرس بديع، تجرى حلاوة موسيقاه ورقتها من ينابيع شعر البحترى وابن زيدون وشوقى .

ونلمح فى شعره الروح المصرية الأصلية، وتتجلى هذه الظاهرة فى ألفاظه وأسلوبه ومعانيه وأغراضه وأخليته، وفى دعاباته بوجه خاص، وقد أشار إلى هذه الخاصية كثير ممن كتبوا عنه من أمثال عبد الله عفيفى(٣)، وعمر الدسوقى(٤)، ومحمد عبد القادر حمزة(٥) .

فعندما تقرأ شعره تجد روحه المصرية، وفطرته المصرية، وشاعريته المصرية، وتشعر أنك تعيش فى صميم زحام الحياة المصرية، وتستمع لشاعر من صميم الشعب، يعبر عن روح الجماهير، وآلامهم وأمالهم فى بساطة ووداعة

(١) مجلة أبولو/ إبريل / ١٩٣٤م / العدد – ٨ المجلد – ٧٢٩/٢ .
(٢) الديوان/١٠٠ .
(٣) الديوان/٣٢٤ .
(٤) الديوان/٣٣٩ .
(٥) الديوان/٤٠١ .

وهدوء، مما يستحق من أجله أن يسمى " شاعر الشعب " كما كان البهاء زهير (٦٥٦هـ ) مثلا خير ممثل لهذه الظاهرة فى القديم .

وبقى أن نقول إن شعر الماحى صلة بين القديم والحديث، كما ذكر أكثر النقاد والأدباء[١]، فهم يرون أن الماحى استطاع فى شعره أن يجمع بين القديم والحديث، وأن يوفق بينهما، ويمزج بين عناصرهما توفيقا ومزجا رائعا .

ويمكننا أن نوجز القول فى خصائص شعره من خلال عبارة الشاعر عزيز أباظة يقول : " والذين يعرفون الشاعر عن كثب يرون فى شعره شفافية روحه وصراحة طباعه، فحياته الإنسانية وحياته الفنية لا اختلاف بينهما فى العرض والجوهر، وتلك إحدى الميزات القيمة التى لم يحظ بها إلا القلائل من الشعراء، فإذا حاولت أن تستشف نفسه وما يعتمل فيها من شعره لن يعييك البحث، ولن تلتوى بك الطريق، فشعره مرآه صافية لنفسه، كما أنه منارة ساطعة لعصره "[٢] .

(١) منهم الشاعر / عادل الغضبان، والشاعر محمود عماد .
(٢) الديوان/٢/٣٥٤ .

## الرؤية الفنية فى موضوعات الماحى
## وما تناوله من قضايا

كتب الماحى فى معظم قضايا العصر وما ضج على الساحة من موضوعات، يقول الرافعى عن الوطنية : " إن فى قيثارة الشعر سلوى للقلب، وغذاء للروح، وإنها لتوحى إلى النفوس أسمى معانى الإنسانية، وما أجمل هذه القيثارة حينما تغرد للناس ألحان الوطنية "(١) .

وهذا ما عبر عنه الماحى حين كتب أشعاره عن الوطنية، فقد أفرد فصلاً كاملاً فى ديوانه للقصائد الوطنية، ولكن آيات الوطنية الصادقة تطالعنا فى كل قصيدة، بل فى كل صفحة من صفحات الديوان .

ولا غرو فالشاعر هو اللسان المعبر عن الخواطر التى تجول فى الضمائر، هذه الخواطر التى تتعرض لأى مثير من المثيرات التى تحفزها للتعبير عنها كالثورة أو التطور أو النهضة أو الانتقاض على الأحكام الأجنبية الجائرة كالاستعمار والاستغلال والاستعباد والاحتلال ؛ لذا فقد أدى الماحى دوره فى النضال الوطنى، ولم يتخلف، وعمد إلى سلاحه الذى يجيد تحريكه، فسجل بمداده كلمات من نور تحث إخوانه على أن يهبوا لاستنقاذ الوطن عندما يحس مكيدة تدبر له، ويعبئ شعور قومه عندما يدعوهم الوطن إلى الأخذ بناصره، وإعلاء شأنه بين الأمم .

وشاعرنا عاصر فترة خصبة فى تاريخ الوطن العربى بصفة عامة، وفى تاريخ مصر بصفة خاصة، فعندما قامت الثورة المصرية فى يولية عام ١٩٥٢م، نجد الماحى عبر عنها أبلغ تعبير واصفاً أحداثها وآثارها، وعهدها الجديد، كما

(١) شعراء الوطنية فى مصر / عبد الرحمن الرافعى / ط/ دار المعارف / ١٩٩٢/٣م / ٨

نظر فيها إلى العهد البائد ليزرى به ويقارن بين عهد غلفه الظلام، وعهد كساه النور والخير والرفعة والمجد، كما ذكر الأحداث التى سبقتها من حريق القاهرة وفساد الحكم . وقد بلغت القصيدة أربعة وستين بيتاً صور فيها مآثر الحاضر على أيدى أبطال الثورة، وقد استوعب مطلع القصيدة كل هذه المعانى فى بلاغة وإيجاز وروعة .

يقول الماحى فى قصيدة " الثورة المصرية الحديثة "(١)

**أقـــبل الحقُّ والهدى والسلام وتَـــوَلَّى الظَّـــــلام والظُّلامُ**

**حسبوا الشعبَ راضيا مُستكينا خدعته الوعـــــــودُ والأحلامُ**

ويقول فيها مصوراً العهد البائد :

**ذاك عهدُ ساعاته أيـــــــام ذاك عهدُ أيامُهُ أعـــــــوامُ**

**كان همسُ النصيحِ يُعْتَدُّ جُرما وكلامُ الغوى نِعْمَ الكـــــــلامُ**

ثم يذكر حريق القاهرة فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢م، مؤكداً أنه كان أمراً مدبراً لغرض سياسى .

**أذكروا يوم أحرقتْ واستذلتْ دراكـــــم واستباحَها الإجرامُ**

**أكلتها النيران أكـــلاً وذابتْ فى لظاها العُروضُ فهى حُطامُ**

**وتَداعَتْ صُروحُـــها وتَهاوَتْ شامخـــاتُ القُصور فهى ركامُ**

ويبرز ما فعله الجيش المصرى فى سبيل إنجاح الثورة

**يا لقومى وصـــــيحة الحقِّ دوتْ فوعتْها القلوبُ والأفـــــهامُ**

**ليس هزلا ما يطلبُ الجيشُ يا قوم ولكنه المرامُ الجُـسَامُ**

(١) الديوان /٣/١ .

ويتحدث عن العهد الجديد مبرزاً مميزاته

**فابعثوا فى الــبلادِ عهداً جديداً ... فيه أمنٌ وحكـــــــمةٌ ووئامُ**
**وحدَّوا الرأىَ والعزيمةَ وامضوا ... لم تَسُدْ أمةٌ عَراهـــــا انقسامُ**
**وأقيموا " الدستورَ "[1] فهو ملاذٌ ... ومنارٌ ومرشـــــــــدٌ وإمامُ**

وفى قصيدة أخرى تجده يربط بين الثورة فى مصر وبين النهضة الجديدة وما صحبها من إصلاحات فى شتى المجالات

يقول فى مطلع قصيدته " الثورة ونهضة مصر "[2]

**لك يا مصرُ خاطرى وجنانى ... إن تمنيتُ كنتِ أغلى الأمانى**
**أنتِ رمزُ الخلودِ فى كل عصرٍ ... أنت مُذْ كنتِ معقل الشُّجْعانِ**

ثم يذكر إنجازات الثورة :

**عَرَفَ الزارعُ الذى عاش يَشْقَى ... لســـــواهُ فى الذلُّ والحرمانِ**
**أنه المالكُ الذى لا يُمَـــــارى ... يغرسُ الغرسَ وهو بعدُ الجانى**
**عَرَفَ العاملُ الذى بات يســعى ... كادحـــاً لا يذوقُ غير الهوانِ**
**أنَّ ذا المالِ لم يَعُدْ مـــــستبدا ... بل هـــــــوَ الأبُ الأبرُّ الحانى**
**عَرَفَ الصَّانِعُ الذى كان يُمْــسى ... غارقاً فى الهـــــمومِ والأحزانِ**
**أنَّ من خلفه النقابة تحـــــمى ... حقه من تحـــــــكُّم وامتهانِ**
**عَرَفَ التاجرُ الذى كان نهـــباً ... لابتزازِ المســـــاوم الغرثانِ**
**أنه لم يعد فريـــــــسةَ ذئبٍ ... واغلٍ فى الفسادِ والخــسرانِ**
**عَرَفَ الطالب الذى كان يقضى العمر نهب الضلالِ والبهــتانِ**

---

(١) أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى ٥ مارس ١٩٦٤م الدستور المؤقت .
(٢) الديوان/١١، ١٢ .

**أنَّ ذُخْرَ العلومِ أعْظمُ ذخـــــر لحـــــــياةٍ مخضرةِ الأفنانِ**
**عَرَفَ الناسُ كلهم أن " مِصرا " أدركتْـــــها عنايةُ الرحمنِ**

وقصيدته " فى سبيل الجهاد " ثورة ودعوة للجهاد، وفيها يرد على تصريح " تشرشل " بصدد المفاوضات التى دارت بين حكومة الثورة وبين الإنجليز يقول فى مطلعها(١) :

**أشعلوها لظى تدك الجـــبالا صَرَّح الشــر فاركبوا الأهوالا**
**لا تُرجَّى حُرِّيَةٌ بكـــــــــلام لا تُنـــال الحقــوقُ إلا نِضالا**
**إن من يركب المخاطر لا يرهبُ بطـــــــشا ولا يخــافُ نزالا**
**فى سبيل الجهادِ يا مصرُ يفنى كل حـــــر ويستطيبُ القتالا**

وهكذا يستثير الشاعر حماس قومه، ليهبوا لملاقاة العدو المستعمر .

ولا يمل الشاعر الترديد العذب فى ثورة مصر وإصلاحاتها فى كل مناسبة وكل منتدى يحل فيه، فهو يحدوها، ويؤرخ أمجادها، ويحفز شبابها ويدعو إلى الجهاد ليأخذ دوره، ويستنفر قومه خفافا وثقالا للدفاع عن وطنهم وأهلهم .

وشاعرنا فى أكثر قصائده متفائل تفاؤل المؤمن بالله والوطن والشعب، الموقن بزوال الظلم ولو استشرى إلى حين، لذا تجده فى قصائده يشيد بالشرق وبأمجاده ، وبأن مصر جزء من هذا الشرق ، فصارت تفاخر به ، ويفاخر بها ، وعلى كل مصرى أن يفخر بمصريته وبقوميته وبعروبيته . يقول فى قصيدته " أنت من مصر "(٢) :

---

(١) الديوان/٨ .
(٢) الديوان/١٦ .

**أنت من مصر فارفع الرأس وانهضْ أين من مصـــــــر كل شعب راقِ**
**فادفع الخوف يا أخـــــى وتقدمْ فاكتب المجدَ بالـــــــدم المهراقِ[1]**
**مد كفيك للعروبة تظـــــــــفرْ بمغاويرَ طـــــــــــيبى الأعراقِ**

وتأتى قصيدة الماحى " بورسعيد الباسلة فى معركة الحرية والفداء "[2] لتجلى صدق التعبير وورعة الأداء وجمال العبارة وتناسق الألفاظ فى وصف هذه المعركة التى شنتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر بعد تأميم قناة السويس إثر إعلان الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٦ يوليه ١٩٥٦م ، وقد ركز الأعداء هجومهم على بورسعيد فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م ، وأنزلوا بها أفظع النكبات والأهوال تمهيداً للاستيلاء عليها لتكون قاعدة للزحف على ما وراءها من البلاد[3] . ولم يدر بخلد هذا العدو الغاشم أن الشعب البورسعيدى كان مستعداً لاستقباله أعظم استعداد ، فقاوم أهلها مع الجيش مقاومة أذهلت العالم ، وصمدت المدينة وانتهى الأمر بانسحاب المعتدين فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٦م .

وكانت قصيدة الماحى ملحمة طويلة النفس امتدت إلى ستين بيتاً، شارك فيها معبراً ومصوراً ومسجلاً وراصداً لأحداثها . ولا غرو فالشعر هو المرآة الصادقة لأحداث التاريخ . يقول فى مطلعها :

**حيُّوا معى البلد الأعز الأمنعا عُـــــــنوانَ مصرَ كرامةً وترفعا**

---

(١) المهراق/ اسم مفعول من أهرق الماء أى صبه .
(٢) الديوان/١٨ .
(٣) انظر قصة الكفاح بين العرب والاستعمار/ محمد سعيد العريان د/ جمال الدين الشيال ط/ دار المعارف /١٩٦٠م/ ٣٢٢ .

**بلدٌ روى تاريخَهُ بدمـــــائه وحَـــمَى الكنانةَ والعروبةَ أَجْمعا**
**بلد أَبَى أن يستكين لغاصب ولو أنـــــــه ذَاقَ العذاب مروعا**

وعندما تأزمت المعركة عرضت بعض الدول[١] أن تبعث متطوعيها لمساندة مصر فى مواجهة الحرب الظالمة التى شنت عليها، فلم يقبل جمال عبد الناصر هذه المساعدة، لما قدرة من أن تؤدى إلى حرب عالمية تصيب الكون بالدمار والخراب، وآثر أن تواجه مصر بعزمها وقوتها هذا الموقف العسير على أن تعرض العالم لخطر التدمير وقد تناول الشاعر هذا الموقف بقوله :

**وأتيتَ من وحى السلام بمعجز وأبيت الاستسلام أو أن تخضعا**
**لولا احتفاظُك بالسلام لأوشكتْ أرحـــــامُ أهلِ الأرض أن تتقطعا**
**علَّمتهـــم أن الشريعـــةَ لم تعدْ للغاب يهتضم الحقوقَ من أدعى**
**لا خير فى السلطانِ إن لم يحمهِ حـــــــقٌ تكون له العدالة منبعا**

وعندما وقعت نكسة يونيو ٦٧ حينما شنت إسرائيل هجوماً سريعاً بالطائرات، واتخذت المطارات المصرية هدفا لها، وكان نذير سوء ترك البلاد تحت رحمة العدو، واجتاحت جيوش العدو سيناء، وكان من الممكن أن تدور معارك بين الجيش المصرى بسيناء وبين المهاجمين، ولكن جمال عبد الناصر أصدر أمراً لجيوشنا فى سيناء بالانسحاب فكان ذلك فرصة انتهزها العدو، فراح يضرب المنسحبين دون رحمة ، وانهارت الجبهة المصرية فى سرعة عجيبة

(١) عرضت شعوب الاتحاد السوفيتى .

وحسبت تلك هزيمة على جيشنا مع أن هذا الجيش لم يدخل معركة حقيقية ولم يقابل العدو فى صراع[١] .

وهنا يرفع الشاعر محمد مصطفى الماحى روح المقاومة المادية فى رفض الهزيمة والنهوض السريع للمواجهة بالإعداد الأمثل ، والجهاد العظيم مبيناً أنها كانت جولة والحرب جوالات فلنتخذ منها العبرة والدرس الذى يشد أزرنا، ويصلب عودنا ، ويقوى شكيمتنا، ونتخذ الصبر عماداً نعبر به المحنة، ونحقق به النصر، يقول فى قصيدته " دعوة إلى الجهاد "[٢] :

**إِهتفْ بقومك فى البلاد ونـــاد ... فالوثبةُ الكبرى على ميعادِ**
**وَارفعْ لهم علم الجهادِ مؤزراً ... فالنصرُ لا يُرْجَى بغير جهادِ**
**ثملَ العدو بما جنى من غدره ... والـــــغدر أقبح عدةٍ وعتادِ**
**هى جولةٌ مرت بما حفلت به ... من عـــــبرةٍ وتأزمٍ وعَوادِ**
.....
**كم كبوةٍ قُرنَتْ بنصرِ حاسمٍ ... والصبرُ فى البأساءِ خيرُ عِمَادِ**

ولما وقعت مأساة فلسطين شغلت العرب والمسلمين، لأن الكارثة التى تعرضت لها فلسطين على يد الصهيونية الإسرائيلية هى سابقة ليس لها مثيل قط فى تاريخ العالم الحديث، لا العالم الإسلامى ولا العالم الثالث " إنها ليست

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية/ د/ أحمـد شـلبى /ط مكتبـة النهضة المصرية/ ط الثانية ١٩٨٣م/ ٩/٧٣٠، ٧٣١ .
(٢) الديوان/ ٦١، ٦٢ .

استعماراً قديماً أو جديداً فحسب، ليست حتى استعمارا استيطانياً أو عنصريّا فحسب، ولكنها كذلك وقبل ذلك استعمار ابادى إحلالى صرف "[١]

" ومن أعجب الأعاجيب أن اليهود لم يكتفوا بمطامعهم فى فلسطين بل راحوا يحلمون بإمبراطورية كبرى تمتد من الفرات إلى النيل وتشمل فيما تشمل جزءاً من الأراضى الحجازية المقدسة بالمدينة المنورة وما حولها !! "[٢]

ولقد كانت لأحداث فلسطين أصداء بعيدة المدى فى شعر الماحى فقد أهدى إليها الشاعر أروع قصيدة فى الوجود حين وهبها ولده الضابط المجاهد " محمد سعيد الماحى " ، وأخذ يحرضه على قتال اليهود فى قصيدته " إلى ولدى فى فلسطين "[٣] وفيها يقول :

**باتتْ فلسطينُ مهدُ الدين من قدمٍ ... يَسودُها الظلمُ والإفسادُ والشغبُ**
**فاحفظْ عرُوبَتها وانصر قضيتها ... فكم فدتها بما اعتزت به العربُ**
**إن اليهودَ طغوا فى الأرضِ وانتهكوا ... ما حَـــرَّمَ اللهُ واستهواهم الذهبُ**

....

**إنى نذرتُك للرحمنِ فامضِ على ... مشـــيئة اللهِ لا وهنٌ ولا رهبُ**
**وابذلْ حياتك دون الحق غــاليةً ... يُوهَبْ لك الحقَّ والتأييدُ والغلبُ**

---

(١) العالم الإسلامى المعاصر د/ جمال حمدان ط/ عالم الكتب ١٩٩٠م / ١٥١ .
(٢) العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث من ثورة ١٩١٩ إلى ثورة ١٩٥٢م د/ سعد الدين محمد الجيزاوى / ط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ط / ١٩٦٤م / ١٦٩ .
(٣) الديوان/ ٢٩ .

وظل الشاعر يردد فى شعره مأساة فلسطين بكل جوانبها، ويذّكر المسلمين بواجبهم نحو تحرير قدسهم . فالقدس ليست مجرد مدينة من حجر وطين ، أو تجارة وسياسة ، ولكنها بمقدساتها متحف خالد(١)

وتبرز أهمية القدس ، والحفاظ عليها لدى المسلمين عامة – عربا أو غير عرب – فى كونها تشكل مدينة من أقدس مدنهم فهى بعد مكة والمدينة المنورة، ففيها المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين . فقد اتخذ المسلمون من القدس فى أوائل عهد الرسول – ﷺ – قبلة، وكانوا فى صلواتهم يولون وجوهم نحوها ومضوا على ذلك نحو سبعة عشر شهراً إلى أن اتخذوا الكعبة قبلة – قال تعالى :

**﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾**(٢)

وعن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

**" الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة "**(٣)

كما أن فيها كنيسة " بيت لحم " حيث ولد السيد " المسيح " وفى القدس كنيسة " القيامة " التى يعتقد المسيحيون أن فيها قبره عليه السلام، ولكن اليهود يسخرون من هذه الذكريات والمقدسات لأن اليهود عرفوا دائما بعداوة المسلمين والمسيحيين على السواء، فهم يعتقدون سمو عنصرهم على العناصر الأخرى

(١) انظر قضية القدس د/ عز الدين فوده ط/ دار الكاتب العربى/ ١٩٦٧م/ ٧ .
(٢) سورة الإسراء /١ .
(٣) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد/٤/٧ .

حتى عدوا أنفسهم شعب الله المختار وأن باقى البشر همج أو شبه أنعام خلقوا لخدمتهم وليكونوا تحت إمرتهم .

إذن فقد أعطت العناية الإلهية هذا الموطن دوراً خاصاً ، ومكانة خاصة فى قلوب المسلمين والمسيحيين فى كل بقعة من بقاع الأرض وقد أدرك الماحى كل هذه المعانى والمشاعر، فأهاب بالضمير الإنسانى أن يتدراك شعباً عريقاً شرده الظلم، وصاغ كل هذه الأفكار فى ملحمته التى نظمها فى فلسطين وتقارب المائة بيت . يقول فى قصيدته " فلسطين "[١]

**فلسطينُ الشهيدةُ خـــبَّرينا ... فقد ظن الدعاةُ بك الظُّنونا**
**وراحوا ينشرونَ بكل أرضٍ ... حديثَ الخادعينَ المُفْتَرينا**
**أَحقاباتَ شعبكِ مُستكينا ؟ ... أَحَقاً عافت الأُسْدُ العرينا ؟**
**أحقا غيرت منك الليالى ؟ ... فأسلمتِ القياد لغــادرينا ؟**

.....

**فمن شط الفرات لنيل مصر ... رمتْ بهم الأمانى طامعينا[٢]**

.....

**بك القدسُ الذى أَسْــرَى إليه ... نبى يصحبُ الروح الأَمــينا**
**وكم مكرا اليــهودُ به وخانُوا ... وخاضُوا فى الفساد مُضللينا**
**ولولا حكــمةُ الله دقَّـــــتْ ... لأخلى الأرضَ منهم أَجْمَعينا**
**وفيك المسجدُ الأقصى تعالت ... ذُراه آيـــــــــةً للناظرينا**

---

(١) الديوان / ٣٠ وما بعدها .

(٢) كانت آمال الصهيونية الولى استرجاع أورشليم ( القدس ) واحتلال فلسطين ثم اتسعت آمالهم فأرادوا أن يكون ملكهم من نهر النيل إلى نهر الفرات .

**وفيك أضاءت الدنيا بعـــيسى فكان المحسنَ الـــبَّر الحنونا**
**بك ائتلقت دياناتُ ثـــــــلاثُ فكانتْ رحمةً للعالمـــــــينا**

ويبقى بيت المقدس فى ضوء هذه الرؤية الدينية موطناً لحدود شخصيتنا الدينية، ولمحتواها الثقافى والأخلاقى، وخسارته تعنى تحطيم هذه الحصون الهامة لحرمة الوجود الإسلامى فعلى المسلمين واجب التحدى ضد الصهيونية حتى يدرءوا الأخطار التى تواجه وجودهم، وعقائدهم ومقدستهم . ﴿.. **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (١)

ولا ينسى الشاعر وطنه العربى الكبير، فقصائده تعمل لوحدته ، وتشيد بزعمائه ، وتمجد خطواتهم الرائدة الموفقة ، فى سبيل التحرر ، والوحدة ، والكاملة . يقول فى قصيدته " تحية العروبة "(٢) :

**حَيُّوا العروبة فى عُليا مراتبها وخير فُرسانها شـــــيبا وشبانا**
**كُنَّا نقاســـــــمُهم سراً أمانينا فاليومَ أصبحَ ذاكَ الســـرُّ إعلانا**
**هيا بنى اللغة الفصحى نمديدا تسمو بها وتردُّ الشـــــك إيمانا**
**وهذه مصر فى المسعى تعاونكم أَكْرِمْ بها فى سبيلِ الحقِّ معوانا**
**سَما الوفـــاء بها فى كُلِّ منزلةٍ حتى غَدتْ لربوعِ الشَّرقِ عنوانا**

فالشاعر يؤكد على أن الوطن العربى وحدة واحدة، ويرى ارتباط مصر بالأمة العربية، كما يؤكد على عروة اللغة العربية ودورها فى لم الشمل .

وبعد فنفس الماحى الشاعرة تزخر بالحماس الوطنى الذى يمثل الوعى القومى والوطنى الناضج عنده .

---

(١) سورة الحج/٤٠ .
(٢) الديوان/٣٨ .

يقول فى قصيدة " الشعراء ووحدة العرب "[١]

**إنَّ العروبةَ معنى باتَ يجْمَعُنا على الوفاء مَواثيقاً وأَيْمانا**

❁❁❁

بدأ الماحى ديوانه بإهداء إلى ساحة النبى الأكرم محمد – ﷺ – يقول فيه :

**إلى الساحة العظمى إلى مطلع الهدى بسطتُ لخير الناسِ اجمعهم يدا**

**فيا رب هب لى حكمةً وبلاغــةً أوفـِ بها حــبى النبى " محمداً "**

الخ

وإذا اتجهنا إلى شعره الدينى فى الديوان وجدنا نفساً شاعرة تذوب رقــة وعذوبة وصفاء فى عاطفتها الدينية التى سطرها الشاعر فى أمكنة متعددة مــن الديوان .

وقد اتجه الشاعر فى إسلاميات ديوانه إتجــاهين : الاتجــاه الأول : شغفه وحبه وارتباطه بالأماكن الدينية والمناسبات الإسلامية ويتضح ذلــك بوضوح فى قصائده : " فى البيت الحرم "[٢] " من وحى الهجرة "[٣] " عيــد المولد النبوى عيد السلام "[٤]، " تشوق إلى الحجاز "[٥]، " خواطر فى الروضــة النبوية "[٦]، " ماء زمزم "[٧]،

---

(١) الديوان/٢٧ .
(٢) الديوان/١٣٥ .
(٣) الديوان/١٣٦ .
(٤) الديوان/١٤٠ .
(٥) الديوان/١٤٢ .
(٦) الديوان/١٤٣ .
(٧) الديوان/١٤٥ .

كما يحث فى أكثر قصائده على مكارم الأخلاق الإسلامية ، أما الاتجاه الثانى فهو يبرز فيه عظمة الدين الإسلامى ومحاسن شريعته ، وتمجيد حضارته ، والدفاع عن الإسلام .

ففى قصيدة " رسالة جمعية الشبان المسلمين "[١] تجده يتحدث عن عظمة الإسلام ومحاسن شريعته، فهو الدين الذى أخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويساعدهم على البر والتقوى، ويدعوهم إلى التآخى فى السراء والضراء، فهو رباط مستديم لمؤازرة الخير ومدافعة الشر، دين أتى إلى الدنيا فخط نظام حياتها، دين يدعو إلى الإنصاف، دين يسمو به الإنسان ويرقى من خلال نظمه وتشريعاته ومبادئه . فالإسلام رسالة عالمية ذات منهاج كامل متكامل، وضع أساس علاقات صلاح البشر . " فعالمية الإسلام ليست فى سعة الدائرة التى يعمل فيها فقط، وإنما هى فى طبيعة توجيهاته وصياغة آياته، فالكتاب والسنة يخاطبان الإنسان حيث كان دون انحصار فى زمان أو مكان ! إنهما ارتباط بالفطرة، وحوار مع العقل البشرى تحت أى سماء وإلى آخر الدهر "[٢] .

يقول الماحى مشيداً بهذا :

**أَشْرَقَ الإسلام منه فاهتدى ... بهداهُ كل سار فى الظَّلامْ**
**طَلَعتْ شمسُ ضُحاهُ غُرةً ... فى جَبينِ الدهر فانجابَ القَتام[٣]**

---

(١) الديوان/١٠٩ .

(٢) سر تأخر العرب والمسلمين / محمد الغزالى / ط/ دار الصحوة / ط الأولى/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / ١٢٦ .

(٣) انجاب القتام / انكشف الغبار والسواد .

**إنما الإســـــــلامُ نُورٌ وهُدى ... يُرْشدُ الناسَ ويدعُـــــو للوئامْ**
**وهو فى الدهرِ – على أحداثهِ – ... مبعثُ الأمنِ وميثاقُ السَّـــــلامْ**

وتأتى ذكرى الهجرة النبوية فيستوحى الشاعر مـــن معانيهـــا وآثارهـــا الخالدة العظة والعبرة ويذكر بمحاسن هذا الدين وروعة مبادئه فهو دين المساواة والإخاء والشورى، كما يوضح أنها خاتمة جهد شاق فى محاربة الباطل، وفاتحة عهد انطلق به الإسلام فى ميادين الحرية والجهاد يقول(١) :

**ذَكَرْتُ بالهجرةِ الإسلامَ ينصرهُ ... قـــومٌ كِرَامٌ فَدَوا بالنفسِ دينهمُ**
**دعاهُم للـــــــهدى داعٍ يؤيده ... من جانب الحق ما ارتاعتْ له الأممُ**
**دعاهُم لمساواةٍ يعـــــــزُّ بها ... من لَيْسَ ينـــــجدهُ جاه ولا نعمُ**
**دعاهُم لإخاءٍ ليس يُفـــــــسدهُ ... سُوء المظنةِ أو تُودى به التهمُ**
**دَعَاهُم خيرُ خلق الله فانبعـــثتْ ... لدعوةِ الحق والحـــسنى قلوبهمُ**
**عقيدةٌ وحِّدت فى الله فانطلـــقتْ ... كالليث ما عاقه غِـــــيلٌ ولا أَجَمُ**

ونراه فى قصيدة أخرى يدعو إلى التمسك بمبـــادئ الإســـلام، وإحيـــاء منهجه، مؤكداً أنه السبيل الوحيد لنصرتنا وعزنا ورفعتنا يقول(٢) :

**فهل تعـــــودُ إلى الإسلام قُوته ... ويحـــزمُ المسلمونَ اليومَ أمرهُمُ ؟**
**ويجـــــعلونَ كتابَ الله قبلتهم ... فإنَّه الفيـــصلُ الماضى إذا احتكَموا**
**ويجمعُون عَلَى الحُسنى شَتَاتُهُم ... فتطهر النفسُ والأعراضُ والشيمُ**

ويتذكر الشاعر حال المسلمين والعرب اليوم ، فيصـــوب شـــعره تجـــاه ماضى الأمة الإسلامية يستخرج منه الدروس التى تعالج واقع الأمة ، وتستكمل

(١) الديوان/١٣٦ .
(٢) الديوان/١٣٩ .

نقصها، وتجدد الرجاء فى قلوب أبنائها وتحفز هممهم إلى الجهاد، وتعصم نفوسهم من الإحباط والقنوط يقول(١) :

**للمسلمين به(٢) ذكرى تردهُم ... إلى مفاخرَ تعيى دونها الكلمُ**
**أيامَ كان كتابُ اللهِ رائدهم ... إلى الهدى وتُقَى الرحمن هَمَّهُمُ**
**أَيامَ لا خلجاتُ النفسِ يُوهنها ... شَكٌّ ولا ناصحٌ فى الله مُتهمُ**
**فلا الضعيفُ بمأكولٍ لذى نَهَمٍ ... ولا القوى بغير الحَقَّ معتصمُ**

ويؤكد على الجهاد لأن رسالة الإسلام محاطة بمخططات تسعى لمسخ شخصية أبنائها، وتشويه دينها، وتضيع ثقافتها، وتبديد طاقاتها وثراوتها . يقول(٣) :

**إن الرسالةَ لا تحققُ غايةً ... بالنسك بين صوامع العُبادِ**
**بل بالجهادِ مَدَى الحياة وبالتُّقَى ... فكأنما أُتَيَا على ميعادِ**

كما دعا الشاعر المسلمين والعرب إلى الوحدة ولم الشمل، وحذرهم من الفرقة والشتات ونهاهم عن التنازع
يقول فى قصيدته " تضرع ودعاء "(٤) :

**مَدَدتُ كَفَّى إلى الرحمنِ أَسألُهُ ... ضَمّ الصفوفِ من العُرب الصناديد**
**لاَ هُمَّ بارك جهودَ العاملين على ... جَمْع الشتاتِ بسعيِ جِدَّ محمودِ**
**ولكتب لمن أسهموا فى رَأْبها صُحُفاً ... ذُخْراً ليوم من الأيام مشهودِ**

(١) الديوان/١٣٦ .
(٢) الضمير عائد على هلال السنة الهجرية .
(٣) الديوان/١٤٠ .
(٤) الديوان/١٣٤ .

ويقول فى موضع آخر من قصيدته " فى البيت الحـــرام "[1] داعيـــا الله سبحانه وتعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الخيـــر، وأن يشـــد أزر بعضـــهم بعضا، وأن يقالوا من عثراتهم، وأن يرد كيد العاملين لكيدهم :

**كم دعوة لله من قلبِ امـــرئ ... ناجى بها الرحمنَ فى الخلواتِ**
**ليشدَّ أزرَ العُربْ فى أوطانِهم ... ويقـــيلَ نهضتهم من العثراتِ**
**ويضُمَّ شملُهم بأوثق عُـــروةٍ ... ويصـــــونهم من فُرقةٍ وشَتَاتِ**
**ويردَّ كيدَ العاملينَ لكـــــيدهِمْ ... ويُعـــــــيدَ أَياماً لهم نَضِرَاتِ**
**لا هُمَّ بارك كل جهد وارعَـــــهُ ... حتى نفوز بأطيب الثـــمراتِ**
**واجمعْ شتاتَ المسلمين وكُن لهمْ ... عونا يَقِيهِمْ فادحَ النَّـــكـــباتِ**
**وانصُر حُماةَ الدِّينِ واكلأْ سَعيهم ... واكتُبْ لهم ما شئت من حسناتِ**

❁❁❁

أكبر ميزة يمتاز بها ديوان الماحى هى صدق عاطفته، فلا تـــرى فـــى شعره ذلك الجفاف الذى تلحظه فى شعراء المعانى الـــذين يغوصـــون عليهـــا ويتعمقون فيها، وتأتى فكراً مجردة يقف أمامها العقل حائراً، فهى أقـــرب إلـــى الفلسفة منها إلى الشعر، ولا نرى فيه ذلك الخيال الجامح والصـــور المتراكمـــة بعضها فوق بعض فى برودو موضوعية خالصة، فتلمح عليها أثـــر الصـــنعة والتباهى بالمخيلة دون أن تكون فيها تلك الحرارة القوية التى تنفذ إلـــى قلبـــك ومشاعرك، وإنما تجد فيه أهم من كل ذلك عاطفة جياشة فياضة تؤثر فيك فينتقل

(١) الديوان/١٣٦ .

إليك انفعال نفسه، وتعيش تجربته كما عاشها، فتحزن لحزنه وتفرح لفرحه[١] . "وهذه آية الشاعرية الأولى، لأن الشعر تعبير، والشاعر هو الذى يعبر عن النفوس الإنسانية، فإذا كان القائل لا يصف حياته وطبيعته فى قوله فهو بالعجز عن وصف حياة الآخرين وطبائعهم أولى، وهو إذن ليس بالشاعر الذى يستحق أن يتلقى منه الناس رسالة حياة وصورة ضمير "[٢]

هذا بالنسبة لقصائده كلها، أما إذا اتجهنا إلى شعر الوجدانيات – على وجه الخصوص – فهنا تظهر العاطفة الصادقة القوية كدليل كبير على إخلاصه لنفسه ولمن حوله، فهو لا يصدر فى شعره إلا عن شعور قوى ، ولا يقول لمجرد القول، ولكن يكمن وراء كل بيت تجربة عاشها الشاعر وتفاعل معها .

والحب عند الماحى يعنى الحياة فهو يرى أن الحب هو تلك الحياة العميقة المليئة الخصبة وهى حياة نحيا فيها لنحب، ونحب لنحيا، فالحب هو الحياة، وهو الحياة النابضة الوفيرة[٣] .

كما يرى أن دنيا الحب أوسع من الحب الذى ينصرف إلى العاطفة التى تكون بين الجنسين، فالحب أوسع من ذلك بما يتجلى له من الصور فى كل مظهر من مظاهر الحياة . وقد عبر عن رأيه فى قصيدته " مذهبى فى الحب "[٤] فقال :

**أنا لا أعرفُ الحياةَ سوى الحب بشتى ضُر و بِه وافتنانِهْ**

---

(١) الديوان/٣٤٣ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى / عباس محمود العقاد/ ط/ نهضة مصر /١٢٢ .

(٣) انظر الرؤيا الإبداعية فى شعر حسن عبد الله القرشى/ د/ عبد العزيز شرف / ط / دار المعارف ط / الأولى / ١٥٦ .

(٤) الديوان/ ١٦٧ .

حُب ربَّى وقد تَجلى لعـــــينى ... ولقـــــــلبى ما دَقَّ من أكوانِهْ
مبدعُ الخلقِ جاعلُ الروح سرا ... يَتحـــــدَّى القوىَّ فى سلطانهْ
حُب من بلَّغَ الرســــــالةَ للنا ... س وجلَّى اليقــينَ فى برهانهْ
ودَعا للهدى بآيـــــــــاتِ حَقّ ... أعجزت كل ســــاحرِ فى بيانهْ
حُبُّ قوميتى وحُب بـــــــلادى ... وهما ناظرى وَفـــــــى إنسانهْ
علَّمانى الهوى وكنت خَـــــليا ... وكَمالُ الفتى هَـــــوَى أوطانهْ
حُبُّ أَهلى ووالدىَّ وولـــــــدِى ... وصديقى وإن ثَنى مــن عِنانِهْ
هُمْ عِمادى فى شقوتى ونعيمى ... هَل سَما شاهقٌ بلا أَرْكـــانِهْ
حُبُّ ما أَبدَعَ الإلهُ من الخــلــ ... ق وسوى من سَمته وكــيانه
إن فى الزَّهرِ والفَراشَةِ سِــرا ... يستحثُّ الفَتَى إلى إِيـــــمانِهْ

.....

هل تطيبُ الحياةُ إلا بحبٍّ ... هو نبضُ الحياةِ فى خَفَقانِه ؟

وامتزاج الحب بالطبيعة سمة من سمات شعر الماحى، حيث خــرج بمفهوم الحب من قوقعة " الذاتية " إلى النطاق العام الموضوعى، إلى الطبيعــة ذاتها، ويتضح هذا الامتزاج فى قصيدته " أحلام الشباب "[١] فى توكيد الحقيقــة الوجدانية التى عبر عنها الشعراء والأدباء فى القديم والحديث، وقــد عبــر عنهــا الماحى فى جزء من قصيدته " النونية " الطويلة التى نسجها على منوال ابن الرومى فى نونيته الطويلة المشهورة . يقول الماحى تحت عنوان " جنة المحبين "[٢] وهــى جزء من النونية " أحلام الشباب "

(١) الديوان/١٦٩ .
(٢) الديوان/١٧٠ .

ما أَنْسَ لا أَنْسَ عهداً سالفاً ومُنىً قَضـــــــيتها وأحاديثاً لها شَانُ
ومُؤنس فى الرَّياضِ الزُّهر فاتنةٌ بحُسنِها ضَـــرَبَ الأمثالَ رُكبانُ[1]
فكانتِ الشمسُ لو دامتْ تُشابهها فى الحُسنِ والبدرُ لوعَدَّاه نُقصانُ
لكلّ زهرِ شبيةٌ من مَحَاســـنها تُزْهـــى به فهى للعُشَّاق بُستان
فالخدُّ كالورد بل أبْهَى فإن سفَرتْ حَنَى لها الوردُ رأسَا وهو خجلانُ
والطرف كالنرجسِ الوسنانِ قد نبلت أجـــــــفانُه فتبدَّى وهو نعسانُ
والشعرُ جَثْلٌ يسر الناظرون له حُلو الرسالة بادى الحُسن فَيْنانُ[2]
والثَّغرُ كالأقحوان الغضِّ غب ندى رَفّ النســـيمُ عليه فهو مُزدان[3]
يَفْتَر عن دُررِ فيه مُنَـــــضَّدةٍ عَذبُ الرُّضـــابِ ذكىُّ الريح فَتَّانُ
والقد كالغصن مياساً ومعــتدِلا إذَا تَثنى فأنَّى يذكر الـــــــبانُ
تباركَ اللهُ ما أجلى مظاهرهُ نُورٌ ونَورٌ وريحانٌ وسوسانُ[4]

ويشيع فى غزل الماحى الحب العذرى العفيف الذى يتلاءم مـــع القـــيم الروحية الإسلامية، ولا يجرح المشاعر، ولا يخدش الحياء بل يقوم على تطهير النفس، وتهذيب المشاعر، وترقيق العواطف، والسمو بالأحاسيس، وهو فى أشـــعاره ينافس أشعار العباس بن الأحنف، وأبى الحسن البصرى رقة ورفاهة حس، ودماثـــة خلق، وطهارة نفس استمع إلى قوله فى قصيدة " رحماك رحماك "[5] :

يا مُنيةَ النفس من دُنياى رُحماك هلا رَعَـــيْت مُحبَّابات يَرْعاكِ

(١) الزهر : جمع زهراء : المشرقة .
(٢) جثل الشعر : كثروا سود ولان ، ورسل الشعر كان مسترسلا ، والفينان : الطويل الحسن .
(٣) الأقحوان : نبات زهره أبيض أوراقه مفلجة يشبهون به الأسنان .
(٤) السوسان : من الرياحين .
(٥) الديوان/١٨٦ .

رِفقاً بقـــــلب تَمَشَّتْ فى لفائِفِه ... نارُ الصدود فإن القلبَ مثواكِ[1]
هل نفحةُ الروضِ إلا ما سريت به ... أو بســمةُ الفجر إلا من ثناياكِ
فما نعيـــــمى إلاَّ ما رَضِيتِ به ... ولا الســـــعادةُ إلا يَوْمَ لُقْياك
حَسبى رِضاكِ من الدُّنيا وبَهْجَتِها ... فإن ضَنَنْت فحسبى منك ذِكراكِ

ومن أروع قصائده الوجدانية قصيدة " ذكريات الشاطئ "[2] التى ســما فيها على نفسه كما يقولون، فقد جمعت هذه القصيدة زبدة فنه ، كمــا أبــرزت حرارة عاطفته وسيولة موسيقاه، فهى معزوفة رائعة صادقة للمحــب العفيــف، الذى يحب حبا عذريا، ويحبس عواطفه ومشاعره تجاه من يحب . يقول :

بربك هل نَسيت ونحنُ نمشى ... حديثَ المســـتهام لمستهامِ
يُنيرُ طريقـــنا حُبٌّ وعطفٌ ... ونحنُ نخوضُ أحشاءَ الظلامِ
تُجاملنا النجومُ فلا ضــياءٌ ... وتُنعـــــشنا الروائحُ كالمُدامِ[3]
وتهمس حَوْلنا الأمواجُ هَــمْساً ... رفيقا وهــى تسرى فى انسجامِ
وقد ضرب العفافُ أعزْ ســـتر ... يقـــــــينا كل منقصة وذام
كأنا فى التَّصون والـــتَّوقَّى ... وخــوفِ الله فى البلدِ الحرام[4]
حبست عواطِفِى وكتمتُ وجدى ... وفى كتـــمانه وقعُ السَّهام

(١) اللفائف : جمع لفافة وهى شحمة تلتف حول القلب .
(٢) الديوان/١٨٢ .
(٣) الذام : الذم والعيب .
(٤) التوقى : الخوف والحذر .

والماحى من أقدر الشعراء على كبت صباباته وكتمان مشاعره وطى عواطفه تجاه من يحب، إلا أن شاعريته الغلابة تومض بها فتكشفها حينما بعد حين يقول من قصيدة " ريحانة القلب "(١)

**لو يكشف الله عن قلبى لبان هوى هيهات أُو فيه إيضاحا وتبيينا**

**هوى تملك مـــــنى كل عاطفةٍ فكدتُ أحسبه من لطفهِ دِينا**

وحين تجتاحه المؤثرات، ينفض عنه قيوده وأغلاله مستجيباً لنداء قلبه، وطلب مشاعره .

ومن أقوى المؤثرات هدأة الفجر، فللفجر هدأة تغمر الكون بصمت رهيب ؛ فكم سهر فيه المحب الوامق فأرقته الأشجان، وكم استلهمه العاشق المهجور فأفاض عليه سحر البيان، وكم خفق فيه قلب معذب فأوشكت خفقاته أن ترى وتحس، وقد اضطرمت فى هدأة الليل مشاعر وعواطف وأحاسيس الشاعر فأوحت إلى النفس هذه المناجاة " مناجاة الفجر "(٢)

**اللهَ فى مُهَجٍ يُقطّعُها الأَسَى لولا الهوى يا فجرُ لم تَتَقطَّعِ**

إلى أن يقول :

**خَفقاتُ قلبى موشكاتٌ أن تُرى وتُحَسَّ منذ جَفَوت فانظر واسمعِ**

**لك أن تُعَذّبَ قادرا وعلى أن أَدَعَ المَـــــلاَمَة لا تَمُرُّ بمسمعى**

ومن هذه المؤثرات ساعة من ساعات العمر تمر بالمرء تصفو فيها النفس، وتطيب الحياة، وتنتهى وكأنها حلم طارق، أو برق خافق، يظل القلب فى لهفة عليها، وفى حنين إليها، وليس إلى عودتها من سبيل، ولا فى استبقائها من

(١) الديوان/١٨٣ .

(٢) الديوان/١٨٠ .

رجاء وفى ساعة من تلك الساعات قال الشاعر هذه الأبيات من قصيدة " ساعة مرت "(١)

**يا ساعةً مرت – كأَنْ لم تكن – عُودى فإن النفسَ لا تقنعُ**
**هل كنتِ حُلما طارقا فى الكرى ؟ كلا فعين الصَّب لا تهجع !!**
**أو كنت ضوءاً بانَ ثم اختفى أو كُنْت برقاً فى الدُّجَى يلمع ؟**
**يا ساعةً بُلّغتُ فيها المُنَى حَيَّاك عنى الصيب المترع(٢)**

ومن هذه المؤثرات الأطلال فقد عاد الشاعر إلى موطنه، بعد فراق طويل، فشهد ملاعب طفولته، ومراتع هواه فى صباه، فوجدها أطلالا دارسة، فوقف بين هذه الأطلال مستعيداً ذكرياته التى أوحت إليه بهذه الأبيات من قصيدة " وقفة بين أطلال "(٣)

**أَلِمَّا بأَطلالِ لمنزلها الرَّحبِ فإن تعرفاه فاقضيا واجب الصَّحْبِ**
**خَلِيلىّ ما ضرا افتراق جُسُومنا إذا كانت الأرواحُ تَنْعُمُ بالقربِ**
**على أنها نُعْمَى تَزيدُ من الجَوَى وتُسْلمُ عَينَ الصبِّ للمدمع الصّبَ**

ويبقى الليل وآناته وما به من سهد وفكر من أكبر المؤثرات التى تكشف المشاعر، وتزيح اللثام عن العواطف والأحاسيس وهذا ما قاله الماحى فى قصيدته " أنة مسهد "(٤)

**مَلْلتُ يا ليلُ فيكَ السُّهد والفِكرا فكم أرددُ – فى طياتِك – النظرا**
**مُنقبا عن خيالٍ كان يَطرقنى على أُصادفُ من أخبارهِ خبرا**

---

(١) الديوان/١٨٧ .
(٢) الصيب : السحاب أو المطر، المترع : الممتلئ .
(٣) الديوان/١٩١ .
(٤) الديوان/١٩٣ .

**ليتَ الحبيبةَ حين الهجر جَدَّ بها رَأتْ فُــؤادى يقفو خلفها الأثَرا**

والماحى فى غزلياته لا يخرج عن لين الجانب ورقة المشاعر وسماحة الخلق، وصفح عن المساءة، فهو راضى بحاله مستسلم لأمر الهوى يقــول فــى قصيدة " هل من سلام "(١)

**لها الله من حسناءَ لا تحفظُ العهدا أأوسعُها حُبا فتوسعـــــنى صدا ؟!**
**وكم موقفٍ للعَتْبِ بينى وبينها وكَمْ هجرتْ عمدا وكم أخلفتْ وعدا**
**أُطيعُ وتَعصِى ثم تَنهى فأَنتهى وقد وَثقتْ أنى خُلِـــقت لها عَبدا**

ومن أبياته التى أوضحت أنه مغلوب على أمره فى الحب راضى بحاله فى الهجران والصد قوله من قصيدة " يا سارى البرق "(٢)

**يا سارىَ البرقِ هل للشوقِ من هادِ وهل لمضنىِ الهوى من عائد فاد ؟**
**أَشكــو إليكَ وما الشكوى بمُجديةٍ إلا شـــــــماتَة أَعدائى وحُسَّادى**
**سَلِمْتَ يا عهَد أحبابى وإن هجروا ولا عـــــــداك سحابٌ رائحٌ غادِ**

ولعل أحسن ما يرى فى هذه الناحية الرقيقة منه قصيدته " غضبة فــى الحب "(٣) فإن السامع لهذا العنوان يخيل إليه أنه يسمع العاشق الولهان ســوف تثور ثورته، ويغضب غضبته المضرية، فتنطلق منه الألفاظ انطلاق الحمم من البركان، ولكن تتغلب وداعة الشاعر على غضبته فتراه رقيقا فى غضبه . يقول :

**ماذا جَنيتُ ؟ أذنب لا اغتفارَ له ! والذنبُ يمحوه مهما اشتد غُفرانُ**
**إنى كغرقان عينُ الموتِ ترمقهُ يبغى النــجاةَ وفى كفيكِ إمكانُ**

---

(١) الديوان/١٨٩ .
(٢) الديوان/١٩٦ .
(٣) الديوان/١٧٦ .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الماحى هادئ فى عواطفه متزن فى مشاعره وإحساسه كما وصفه الأستاذ حسين عفيف بقوله : " إن شعر الماحى ماء يضم فى جوفه لهيباً، عاطفة متقدة كالجمر، ولكنها تستحى أن تبدو لك سافرة فتتشح برداء من الوقار يسترها، ولكنه ينم عنها، مثل السحاب يحجب وجه القمر ولا يمنع ضياءه "(١)

استمع إلى حيرته فى الحب وهو يقول(٢) :

**أَبَى لى الحبُّ إلا حيرةَ العانى ... فهل معينٌ على سُهدى وأحزانى ؟**
**لم أَجْنِ غير الهوى ذنبا ولو علمتْ ... نفسى بعُقبى الهوى ما كنتُ بالجانى**
**راجعتُ نفسى فلم أحمدْ تفانيها ... فى حُبِّ من بتُّ أرضاهُ فيأبانى**
**ومن إذا هجعتْ عيناىَ مسهما ... بسحرهِ طيفُهُ السارى فأضنانى**
**يا مُطلِقا دمع عين غير ناضبةٍ ... أنا الأسيرُ للحظ منك فتَّانِ**
**لله فى كل شئ آيةٌ وأرى ... فى حسن وجهك معنىً زادَ إيمانى**

والشاعر بعد هذا لم يترك لحظة من لحظات الحب التى عاشها وعايشها إلا ووصفها كالصد والبعد والهجران والحرمان والحنين، وجنة المحبين، والخوف والاطمئنان والحيرة والغضب ومناجاة النفس والوداع والذكريات والمدارة والسعاية والوشاية والتشوق والأمل وآنات السهاد والذكرى، والوقوف على الأطلال والعبرة .

أما رؤيته للحب فهى أنه مركز الحياة والمعنى، ومنبع السعادة والقيمة، وهو سر الله أرسله ليصح به وجدان الناس يقول(٣) :

---

(١) نشر فى جريدة الأهرام بعدد يوم ١٩ من أبريل سنة ١٩٣٤م .
(٢) الديوان/١٩٥ .
(٣) الديوان/١٧٩ .

**وإنما الحبُّ سرُّ الله أرسلهُ حتى يصحَّ به فى الناس وجدانُ**

وبقى أن نقول إن وجدانيات الماحى تمثل فترة من حياته كان فيها طلق العواطف خفاق الجنان، كما أن فيه صورة صادقة لمشاعره وأحاسيسه فى ذلك الزمان .

❁❁❁

الشعر انفعال وشعور، والشاعر – شاء أم أبى – جزء من مجتمعه فإذا انصهرت تجاربه مع تجارب عصره وهموم قومه – فى بوتقة واحدة – بوحى من شعوره النفسى لا بدافع يدفعه أو بواعزٍ بحفزه جاء شعره طبيعياً عفوياً صادقاً .

أما إذا أريد على أمر لم تستجب له خطواته، ولم تتكامل له بواعثه ونزعاته، فإن إنتاجه لن يبلغ مدى التأثير فى نفس قارئه، كما أنه يجئ مطبوعاً بطابع التكلف مصطبغاً بصبغة الافتعال . بعيداً كل البعد عن جو الشعر ؛ لأنه لم يتزود بزاده، ولم يتسلح بعتاده ! (١)

" فالشعر ليس تعبيراً عن الحياة إنما هو تعبير عن اللحظات الأقوى والأملأ بالطاقة الشعورية فى الحياة، وليس لموضوع التعبير فى ذاته دخل فى هذا، فالمهم هو درجة الانفعال الشعورى بهذا الموضوع "(٢) .

والمجتمع الذى تعرض له الشاعر فى ثنايا ديوانه، مجتمع تقلبت عليه ألوان شتى من الاستعمار، وشهد مسرحه الكثير من أهواء الدول المستعمرة، وكلٌ تحمل فى أسلوبها جراثيم من الانحراف الخلقى والانتكاس السلوكى، لأن

(١) انظر الرؤيا الإبداعية فى شعر حسن عبد الله القرشى/٨٠ .
(٢) النقد الأدبى أصوله ومناهجه / سيد قطب / ط/ دار الشروق/١٩٩٣م / ٥٦ .

المستعمر لا هم له إلا قلقلة القيم العليا، والهبوط بها إلى نزوات أرضية تساعده على تحقيق مآربه، وتنفيذ خططه ومناهجه(١) .

وقد سار المجتمع فى طريق التقليد الأعمى للحضارة المادية الأوربيـــة، ولكن هذه الحضارة المادية لم تكن خيراً خالصاً، وإنما كانت مزيجا من الخيـــر والشر، فقد حملت هذه الحضارة المادية فى ركابها كثيرا من المباذل والمفاســـد وألوان الانحراف، وأصاب الناس من ضررها وخطر نتائجها أكثر مما أصابهم من خيرها ونفعها، حتى لقد أثار ذلك إشفاق المصلحين فأخذوا ينبهون الأمة إلى أثر هذه المفاسد فى قتل العواطف وإماتة الإحساس واستمراء الخطأ، وانتشـــار الانحراف وضياع الأخلاق(٢) .

يقول : " مصطفى صادق الرافعى " عن أثر الحضارة الغربية فى إفساد أخلاق المصريين وخاصة الشباب :

" علم الله ما فتن المغرورين من شبابنا إلا ما أخذهم من هذه الحضارة، فإن لها فى زينتها ورو نقها أخذه كالسحر، فلا يميزون بين خيرها وشرها، ولا يفرقون بين مبادئها وعواقبها، ثم لا يفتنون منها إلا بما يدعوهم إلى ما يميـــت ويصدهم عما يحي وما يحول بينهم وبين قلوبهم، فليس إلا المتابعة والتقليـــد ... إن هذه الحضارة لا تظهر أبداً على حقيقتها .. إنى لأرى أكثر مظـــاهر هـــذه الحضارة إلا أسلحة قاتلة تقتل الخير والرحمة فى قلوب النـــاس، فهـــى ترفـــع تكاليف الحياة وتزيد فيها وتعسر آمالها، فتنشئ بذلك الفقر المدقع ، وتخرج معه

(١) انظر الديوان/٤٠٧ .

(٢) انظر الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ مـــن ســـنة ١٨٨٢ – ١٩١٩م د/ نبيل سليمان طبوشة / ط/ الهيئة المصرية الهامة للكتاب ١٩٩٠م/٩٥ .

الفوضى والاختلال، وتحدث به الأخلاق السافلة كالتلصص والدماء والخبث والحسد ونحوها "[١]

والماحى كشاعر تعرض للمجتمع من وجهة نظر الشعر الخالصة، حينما تهزه الصور الباهتة فيحاول أن يعيد إليها نضرتها، وتثيره النغمة الشاذة على الوتر المنهوك فيحاول أن يهديها سواء السبيل .. والشاعر فى اجتماعياته يعيش فى مجتمعه، يرى ويراقب ويحصى ويدقق فيستقصى ثم يستوعب فيسجل، فإذا استوت له الصورة أخرجها فى نطاق من البيان العربى الصافى، وعبّر عنها فى سهولة ويسر، ورصيد الشاعر من اللغة يسمح له أن يبدع فى أصالة وتمكن[٢] .

وكان من أخطر آثار المدنية الوافدة أنها زعزعت ثقة الكثيرين من المصريين فى أنفسهم وفى قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، حتى لقد وقر فى النفوس أن كل ما يفعله الأوروبى حسن، وأن كل ما ورثناه من عادات هو من بقايا الهمجية ومن مخلفات عصور البلادة والخمول[٣] .

ويبدو أن المجتمع المصرى فى هذه الفترة كان مهيئا من الناحية النفسية لتقبل ما يملى عليه من أفكار وعادات دون نظر أو روية، ذلك لأن ما توالى عليه من عهود الاستبداد وألوان التسلط قد أورثه قبول الذل وطبع حياته بطابع الخضوع فألف الواقع، وأخلد إلى الراحة والاستسلام والتواكل – كذلك افتقد المصريون كثيرا من شجاعتهم الأدبية، وقيمهم الخلقية، فشاع بينهم الجبن والصغار، والرياء والنفاق حتى غدا النجاح لدى الكثيرين مرهونا بالرياء والنفاق

(١) تحت راية القرآن / مصطفى صادق الرافعى / ط/ دار الكتاب العربى / ط السابعة ١٩٧٤ / ٣٦٢ .

(٢) انظر الديوان/٤٠٨ .

(٣) راجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر / د. محمد محمد حسين/١٩١/٢ .

والمكر والتطفل وارتقاب الفرص والتذلل . وإلى أهل هذا الزمان يشير الماحى فى مقطوعته " أهل هذا الزمان "[١] بقوله :

**أَهْلُ هذا الزمـــــان أهلُ نفاقٍ ... ليس للفضل عندهم من نفاقِ**

**لا يزالون خشيةَ الذل فى الذل ... وخـــــوفَ الإملاقِ فى إملاقِ**

ويكرر نفس المعنى بقوله فى قصيدة " ثورة النفس "[٢] :

**فذو الجهل موفورُ الكرامةِ غانمُ ... وذو الفضل فيه خامدُ الذكرِ خاملهْ**

**عفاءٌ على الدنيا فقد ساءَ جَدُّنا ... بها غـــــــير مَرْجُو وأَقْفَر آهلهْ[٣]**

ويصور جانبا من المفاسد والآفاق الاجتماعية التى زحفت على المجتمع المصرى فى ركاب الغرب أو بوحى منه وتحت تأثيره يقول[٤] :

**مُلئ الكَوْنُ بالشـــــرور وباتتْ ... لا تنال الحقوقُ إلا غِـــــلابا**

**خشى الناسُ بعضهم بأسَ بعض ... ونسوا الله فاستحقوا العقابا**

**ما كفاهم أن يأكـــــلوا المال لمّاً ... فإستباحُوا الأخــلاقَ والآدابا**

**وَجَدُوا مَرتْعَ الرذيلة خصـــــبا ... فأباحُوا الحمى وخاضوا العُبابا**

**أين يُلْفَى السلامُ والناسُ فوضى ... خَذَلُوا الحـــــق واستحالُوا ذِئابا**

ومن أكثر القضايا الاجتماعية التى شدت انتباه الماحى قضية " اليتـــيم " وحقه على المجتمع ، فقد صوره ليحرك العواطـــف نحـــوه بـــالعطف والحـــب والحنان، فيرعاه المجتمع رعاية مثل غيره من أبناء المجتمع، ويصير عضـــوا

---

(١) الديوان/٩٥ .

(٢) الديوان/٩٣، ٩٤ .

(٣) الجد : الحظ .

(٤) الديوان/١٠٥ .

صالحا وجادا فى بناء المجتمع ورقيه، على النحو الذى شرعه الإسلام لكفالة اليتيم ورعايته مما هو معروف فى التشريع الإسلامى(١) .

استمع إلى وصف شاعرنا للطفل الشريد اليتيم فى قصيدة " اليتامى "(٢)

**يا رُبَّ طِفلِ ضئيلِ الجسمِ ناحلِه ... أمضَّهُ المُرهقانِ : الذل والسقمُ**

**تبينتْ من خلال الثوب أضلعه ... فغصنه ذابل والدمع منسجم**

**يقوده الجهلُ أنَّى شاءَ رائدهُ ... إلى الضلال وبئس المرتعُ الوخم(٣)**

**فما يهذبه علمٌ ولا أدبٌ ... فيتقى شر ما يؤذى وما يصمُ**

**يكاد يقضى الليالى طاويا ظمئا ... لولا القمامات مما يقذف الخدمُ**

**وطاؤه التربُ أَنَّى ضمه بلدٌ ... غطاؤه نسجُ ما تهمى به الدَّيمُ**

**يطوى الليالى مُلْقىً لا يحسُّ به ... كأنَّه الطيف أخفت أمره الظلمُ**

**أو أنه حجرٌ بالأرض مطرحٌ ... فليس يدرك حتى تعثر القدم**

**هذى حياتهمُ يا قوم فاعتبروا ... وإنها لحياةٌ دونها العدمُ !**

فعاطفة الشاعر هنا قوية صادقة معبرة عن حال هذا البائس الحزين، وتصويره رائع دقيق، وتعبيره الموسيقى نغمة حزينة يصور فيها الشعر حال هؤلاء الذين فقدوا من بنى الإنسان الكثير من الرحمة والحنان، وهى دمعة حارة بين جفنى شاعر رحيم القلب فياض الإحساس يصف هؤلاء المحرومين(٤) يقول :

---

(١) راجع موضوع " التكافل الاجتماعى " فى الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق/ د/على على صبح /١٨٤ .

(٢) الديوان/ ٩٠، ٩١ .

(٣) الوخم / الوبئ .

(٤) انظر الديوان/٤١١ .

**فى مصر صرعى بكأس الهمِّ لم يجدوا قوتاً فأصبحتِ الآثامُ همـــهم**

**لم يُذنُبوا غير أن البؤس طاردهم بويله وطريد البؤس منهزمُ**

وينهى الماحى قصيدته بالدعوة إلى عمل صالح يســاعد هــؤلاء المحــرومين البائسيين :

**يا أهل مصر دعوناكم إلى عمل يُرْجَى به الأجرُ والشكرانُ فاغتنموا**

ونجده فى قصيدة " معهد اليتــامى "(١) يشــيد بمعهــد أنشــأته " وزارة الأوقاف " من مالها كنوع من التكامل الاجتماعى الذى نظمه التشريع الإسلامى، واعتمدت عليه الحضارة الإسلامية فى بناء مجتمعها، لكى تكفل للإنسان حقه فى حياة كريمة وعيشة عفيفة . يقول :

**يا رَعَى اللهُ معـــــهدا كَفَلَتهُ حَسَناتُ الكرام زادُ اليتيم**

**معهدٌ ضَمَّ من صغار اليتامى وصغـــــيراتهن كُل عَديمِ**

ومن القضايا الاجتماعية التى أشار إليها الماحى فــى ديوانــه قضــية " الوقف " فهو يصفها من ناحية مظاهر الظلم ونوازع الشر والطغيان، وتحكــم الموتى فى مصائر الأحياء، وكيف كان نظام الوقف تجميــداً لحركــة المــال، ووقوفاً به دون الاستغلال والاستثمار للصالح العام ، ويشيد بصنيع الثورة حين ألغت هذا النظام ، ولا يخفى علينا أن شاعرنا كان موظفــاً كبيــراً فــى وزارة الأوقاف منذ زمناً طويلاً، فشاهد عن قرب فساد هذا النظام وما يترتب عليه من سوء تدبير وظلم، وطمع ممن يقفون عليه يقول الشاعر فى قصيدته " نظام الوقف "(٢) :

---

(١) الديوان/٧٥ .

(٢) الديوان/٧٦ .

وليس نظامُ الوقفِ قولاً مُنَزّلاً ... ولا هو بالميؤُوس منه فيعدمُ
فرُدوا إلى المظلومِ بعضَ حُقوقِه ... فإن مقر الظـــــلم أَنكى وأظلمُ
وكم أَلصَق الغاوون بالدين فريةً ... على أنه منـــــها بَراءٌ ومِنهُمُ
وقالوا : شروطُ الوقف نصٌّ مقدس ... فتغييُرها إثمٌ كبـــــيرٌ محرم!!
وكم حرمتْ من وارثينَ وروعت ... وكم من بُيوت تحــتها تتحطم
وما الدين إلا العدل واليسرُ والهدى ... وما الدينُ إلا أن يبروا ويرحموا
وإسعادُ مقتورِ علـــــــيه مُضيعِ ... ومن بات فى حرمـــــانِه يتألمُ

ومن القضايا الاجتماعية التى لفتت نظر الماحى، وأشاعت فـــى مصـــر مظاهر الفساد الاجتماعى التى تجنى على الأخلاق، وتدفع بالناشئة إلى التدهور والانحلال والفوضى، قضية الفن الهابط المسموم الذى يـــنهش فـــى أعـــراض الناس، وينال من ذوى العاهات والأحزان والجهلاء والفقراء وأصحاب بعـــض الحرف، فهو خليط من الهمز واللمز والبذاءة، مع ما يبعثه من إضحاك ومـــرح يورث الضغائن والأحقاد، ويساعد على تنمية العقد النفسية، ويبذر بذور الشقاق بين فئات المجتمع، وخاصة أن الكثير منه يستعين بفحش القول، وبذاءة السلوك، وينشر بين الناس قيماً اجتماعية فاسدة ، وهى بأى حال من الأحوال تنافى القـــيم الإنسانية العليا ويجب أن يعف عنها صاحب القلم النظيف واللسان الطاهر[١] .

فالفن رسالة هادفة إذ روعيت أثمرت وأنتجت قيماً وقدوة وهو ما نصبو إليه .

(١) انظر آفاق الأدب الإسلامى / د . نجيب الكيلانى / ط / مؤسسة الرسالة / ط / الأولى/ ١٩٨٥م / ١٢٥ .

يقول الماحى معبراً عن هذه القضية فى قصيدة " الشعر والتمثيل "[١]

**كم شهدْنا التمثيل فى مصر فوضى ... ينـــــشرُ الموبقات والآثاما**
**ويردُّ النفوسَ لليأس حـــــــتى ... ما نَرَى فى الحياةِ إلا ظلاما**
**كان هَم الممثل الفذ أن يـــكـــ ... سبَ مـــالاً وإن جناه حراما**
**ليس عاراً عليه أن يأتى الـــــعا ... رَ مُسيـــغاً فى ذوقِهِ الأَوْهام**
**يَحسبُ الفَنَ أنْ يُزوِّر وجـــــها ... لم يصنه وأن يَصُوغ كلاما**
**مَعرضٌ من مساوئٍ ومخـــــازٍ ... حبطت غايةً وساءت نِظاما**
**نسبوها للفن ظلماً وحاشـــــا ... أن نَرَى الفـــنَّ معولاً هَدَّاما**
**إن دارَ التمثيلِ مدرسةُ الشعـــ ... ـــبِ يَرى فـــيه قُدوةً وإِماما**

وكانت مشكلة المرأة من بين المشكلات والقضايا الاجتماعية التى جسدها الماحى فى ديوانه، ولكنه أثارها بوجهة نظر مختلفة عن باقى شعراء عصره من حيث مخالطة الرجال، ومزاحتهم فى الأعمال ومساواتها مع الرجـــل، وقضـــية تعليم المرأة وخروجها للعمل والحجاب والتحرر، فقد ترك كـــل هـــذه الأمـــور وتناول وجهة نظر جديدة وهى تعالج مشكلة خالدة لا زوال لها ما بقى ليـــل أو نهار، ولم تخل من أزماتها الشائكة بيئة من البيئات وهى مشكلة " الضيق مـــن كثرة الإنجاب " وما يترتب عن هذه الكثرة من عنت وإرهاق للأم، وشكوى من الوالدين .

والشاعر فى هذه القصيدة يعبر عن ذات نفسه أدق تعبير، وكان إحساسه فيها صافيا كل الصفاء، صادقا كل الصدق فى كل حركة مـــن حركـــات هـــذه

(١) الديوان/٨٢ .

القصيدة، كما كانت التجربة بينة، فالشاعر يقصد إلى موضـــوعه قصـــداً دون مقدمات أو مشوقات بيانية .

والشاعر يوجه رسالته فى هذه القصيدة إلى ابنتـــه وداد ، حيـــث أنهـــا رزقت فى وقت قصير عدداً من البنين والبنات فأرهقها وكلفها عنـــاء شـــديداً، وكانت فى شكواها تقارن بين ماضيها المفعم بالنشاط والمرح ، وبين حاضرها المملوء بالمشقة والتفكير، وتحسب على والديها التعجيل بتحميلها هـــذا العـــبء الثقيل، فتمثل الشاعر حالها بين البنوة الحالمة، وبين الأمومة الحانية، وأســـدى إليها نصح الأبوة المجربة . والشاعر فى مناجاته يحنو على ابنتـــه حنـــو الأب الكريم، ويشرح لها فى رفق رسالة الأمومة، والضريبة التى ألقتها السماء على عاتق الأمهات، ويهون لها ما تراه صعبا، ويجعله هينا لينا، ويقارن بين حالهـــا وقد أنعم الله عليها بهؤلاء الأطفال وبين حالها لو أنها حرمت الإنجاب، وعاشت فى منزلا لا أنيس لها منهم ولا جليس، وقد أصبحت حياتها جرداء كالقفر يقول الشاعر فى قصيدته " بناتنا الأمهات "[1] :

**شَكَوْتِ جَهْلَ البنين لمَّا ... جَرَوْا للـــــــــــهو بلا عِنانِ**

**وخِفتِ أن يُصبحوا ضحايا ... للدهر فى حـــــــــربه العَوانِ**

**وأنْ تدور الرحى عليهم ... فى حَمأةِ الـــــــذل والهوانِ**

**وضِقْت ذرعا بهم فهـــلَّا ... رَجَعت للحزم والـــــــمِران**

**نَسيتِ أَن الحـــــياة حُلمٌ ... أيام أفراحهِ ثَـــــــــوانِ !!**

.....

**أديتِ للهِ واجـــــباتٍ ... فلا تغاضِ ولا تـــــــوان**

---

(١) الديوان/٧٢ .

**ما ضيع اللهُ أجرَ عــبدٍ رَعَاهُ فى السر والعِـــلانِ**

والشاعر يؤكد فى ختام قصيدته على أجر العبد الذى لا يضيع عمله فى السر والجهر، فما بال عمل الأم ومعروف قدرها ومنزلتها عند الله

وانطلاقاً من منزلة الأم إلى مكانة الأبوين تأتى قصيدة " إلى أبـــوى "(١) للشاعر لتؤكد بر الوالدين، وحسن معاملتهما، وطلب الرضا منهما، وهى رسالة موجهة من الشاعر فى هذا الزمان لكل عاق جاحد نسى والديه، ولم يتذكر مـــن أتى به إلى هذه الدنيا ومن رعاه ورباه وعلمه وسهر على أمنه وحمايته حتى إذا قوى واشتد عوده قست يده على أحن من له فى هذه الدنيا ونسى قول الله تعالى فيهما :

**﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَـــرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِـــضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** (٢)

فللوالدين فى الإسلام منزلة سامية لا تعد لها منزلة ولا ترقى إليها درجة ولا يقرب منها حظ ولا نصيب، لذا فقد أمر الأبناء بالإحسان إليهما والبر بهمـــا والتنافس على إسعادهما ؛ لأنهما مصدر وجودهم، وجعل برهما فريضة حقهـــا يأتى بعد حق الله تعالى، ففى البر بهما يكون الجزاء الجزل من المولى ﷻ .

يقول الماحى :

**حنانا فما الشكوى لغير كما عدلُ ورحما كما قدناهُ بالكاهل الثقل**
**أأرضى انفصالا منكما وأنا الذى أرى غضب الآباء يتــبعهُ الذل**

(١) الديوان/٧١ .
(٢) سورة الإسراء/٢٣، ٢٤ .

.....

أَنا ابنكُمُا قد وثَّق الدَّمُ بيـــــننا ... أواصِرَ قربى ليس يفصمها حـــل
وما أنتما إلا سِراجان أهـــتدى ... بنورهما حتى تُضاء لى الســـبلُ
فلولا كما لم ألق فى العيش نعمةً ... ولا عُدَّ لى رأىٌ ولا بانَ لى فضل
وإن أنا لم أَجْهَدْ لنيل رضـــاكُما ... فلا عَزَّلى جاهٌ ولا ضُمَّ لى شـــمل
ولا صَحبتنى هِمَّةٌ جد سعـــــيها ... إلى المجدِ تأبى أن يكون لها مثل
ثكلتُ شَبابى والشَّبابُ مضـــــنةٌ ... إذا ساءكُمْ منى وضَرَّكم فـــــــعل
وهذا وَلاء ابنِ يُرَجَّى رِضـــاكما ... فكونا كما تَرْضَى الأُبُوَّةُ والعَـــدلُ

وإذا كان الشباب هم سواعد الأمة فى بناء المستقبل ، وأملها فى تحقيـــق أهدافها وأحلامها وطموحها الحضارى ، فإن تحفيز هـــذا الشـــباب وتوجيهـــه ورعايته وحمايته ضد الغزو الأجنبى بمختلـــف توجهاتـــه وأفكـــاره ومذاهبـــه وموجات انحلاله تصبح ضرورة اجتماعية تتطلب جهود كل أفراد المجتمع ممن له دور فى الإصلاح والتوجيه .

وفى قصيدة " قل للشباب "[1] للماحى نجد الشاعر يحفز الشـــباب لأداء رسالتهم تجاه الإسلام والمسلمين، فعلى عاتقهم يقع الدور الأكبر لبنـــاء دولـــتهم والحفاظ عليها ضد أساليب الغزو بكل ألوانه الثقافى والحضـــارى والحربـــى . يقول :

قلْ للشباب وقد يممت دارهمُ ... هَيَّا إلى المـــجد حَيَّا الله سعيكم
لن يبلغَ المجدَ إلا العاملون له ... ولن تعـــــزَّ بغيرَ القوة الأممُ
إن القوى ليخشى بأسُهُ رهبا ... أما الضعيفُ فمسلوبٌ ومهتضم

(١) الديوان/١١١ .

**دارُ الشباب وما أسمى رسالتها للمسلمين وللإســـلام لو علموا**

ونراه يؤكد هذا المعنى فى قصيدة " تعاون الشباب "[١] :

**يا شبابَ البلاد هيا إلى الجـــ د وزكوا جهـــــودكم بالوفاق**

**أنتـــــمُ عدةُ البلاد وحصنٌ لبنيـــــــــها من المذلة وَاق**

وهكذا تغلغل الماحى فى نواحى كثيرة من نواحى المجتمع داعيـــاً إلـــى الفضيلة، منددا بالرذيلة، مناديا بالحق، محارباً للباطل، متخذاً من التمسك بالدين والتخلق بأخلاق الإسلام وسيلة للحفاظ على كيان المجتمع وحمايته من الدعوات الهدامة والتيارات الوافدة ؛ لأنه منهج حياة يقول[٢] :

**ليس كالدين هاديا يعصم النَّا س فما يكسبون ذَمـــــا وَعابا**

**ليس كالدين قاضيا يحسم الشَّـــ ر وينفى الأَذى ويُرْجَـــى مآبا**

وهذا إن دل فإنما يدل على صلته الوثيقة بالمجتمع، وهذا هـــو الشـــاعر الحق، الذى تتضح فى نفسه تجربته ، ويقف على أجزائها بفكره ، ويرتبها ترتيبا، قبل أن يفكر فى الكتابة ، والتجربة الشعرية " يستغرق فيها الشاعر لينقلها إلينا فى أدق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجى ، فتتمثل فيها الحياة وألوان الصـــراع تتمثل فى النفس أو فى الفرد ، إزاء الأحداث التى تحيط بـــه ، بـــل إن التجربـــة لتنبض بحياة تفتح عيوننا على حقائق قد لا تبين عنها حقائق الحيـــاة أو حـــالات النفس كما تبدو لأكثر الناس، وقد تقصر كلمات اللغة وقواميسها عن الكشف عنها، إذ أن الصورة الشعرية وما تتضمنه من إيحاء أقوى تعبيراً وأثراً "[٣] .

---

(١) الديوان/٨٣ وما بعدها .

(٢) الديوان/١٠٥ .

(٣) المدخل إلى النقد الأدبى الحديث/ د/ محمد غنيمى هلال /٤٤٢ .

والماحى يمثل هذا المعنى فى تجربته الإبداعية خير تمثيل، إذ نلتقى فى شعره بنصوص أعمق من مجرد الحواس الظاهرة، لا تقتصر على موضوع بعينه، وإنما تستجيب للموضوعات الجمالية، نفسية وطبيعية وإنسانية، على النحو الذى يجعلنا نذهب مع الذاهبين إلى أن " الفصل بين التجارب الذاتية ومعانيها الإنسانية والاجتماعية أمر متعذر، فغالباً ما تكون الموضوعات الذاتية أو الكونية منافذ يطل منها الشاعر على مجالات إنسانية واجتماعية بالغة المدى، ثم إن من المسلم به ، أن كل التجارب الأدبية ذات دلالات اجتماعية من نوع ما "[١] .

وهذا هو شعر الماحى، وصدق فيه قول القائل[٢] :

" إن شعره مرآة صافية لنفسه، كما أنه منارة ساطعة لعصره "[٣]

كما صدق فيه قول الشاعر الذى وصف شعره بقوله :

**صوَّرت نفسك فيه غير مبالغٍ ورسمْتَ عصركَ فيه غير مراء**

(١) المرجع السابق/٣٥٨ وما بعدها .
(٢) الأستاذ / عزيز أباظة .
(٣) الديوان/٤١٢ .

## السمات الفنية للقصيدة عند الماحى

**المحتوى الشعرى عند الماحى :**

تناول الماحى أغراضاً شتى، وقد حدد أهداف شعره ومعالم طريقه فى قصيدته " إلى من أقول الشعر ؟ "[١]

**إلى كُل نفسٍ فى الوجودِ أَبيــة ... ترى المجدَ أن تشقى ولا تقبلُ الظلما**
**إلى الوطنِ المحبوب والقادةِ الألى ... حَفِظتُ لهم بين الضلُوعِ هوى جَمَّا**
**إلى المثل الأَعْلَى إلى الأمل الذى ... تَمَلَيته حِيناً فنـــــلت به النُّعمى**
**إلى من ثَوَى فى القلب وانصرفت له ... مُنَى النفسِ حتى خالط الدَّمَ واللحما**
**ومَنْ حُسنهُ فى يقظتى جِدُّ ماثلٍ ... فــإن هَجَعَتْ عينى تَمَثل لى حُلْمَا**
**إلى فتراتٍ فى الشباب قَضَيتها ... تولت وأبقتْ حسرةً تبــعثُ الهَّما**
**خَواطرُ نفسٍ كُنَّ ينقعن غلَّتى ... وأسبابُ أُنْسٍ طالما أذهــبت غمَّا**
**هدَّيةُ إِخــلاصٍ وذكرى مشوقةٌ ... لعهدٍ تَقَضَّى ما أجلَّ ومــا أَسْمَى**

فللماحى رسالة سامية هدفها التعبير عن العصر والبيئة، والمشكلات التى يعانى منها المجتمع، ويستوعب آماله وآلامه وأهدافه . يقول عنه الأستاذ طــاهر الطناحى[٢] :

" عندما قرأت ديوان الماحى قرأت وجدانه، وقرأت شــعوره، وقــرأت الحياة فى صفحات مشرقة رائعة، لأن كل ما فيها رائع بديع مشــرق، وصــور حيه من نفسه، وقطعه من حسه، وظلال من حياته التى يحياها ويعيشــها مــع الناس، وقد سجل كل ما تناوله تسجيلاً بليغاً فى حلاوة المعنى، ورقــة الطبــع،

(١) الديوان/١٤٩ .
(٢) الديوان/٣٩١ .

وجزالة اللفظ، وسلاسة الأسلوب، وكان جديداً فى شعوره نحو ما مر بـه مـن أحداث جديدة .. وكان شعره مرآه لعصره

كما قال خليل مطران فى وصف ديوانه(١) :

**أبدعتَ فى ديوانِ شعركْ فجعـــــــلتَه مرآه عَصْركْ**

**وكفى لذلك مـــــا جَلاَ للِنَّاسِ مـــــن مرآةِ عمركْ**

**وهنا سؤال هل الماحى كان مقلداً للقدماء أم مجدداً ؟**

وللإجابة عليه نقول ليس معنى أن الشاعر تناول فى شعره فنون القدامى من رثاء ومدح ووصف وغزل الخ أنه مقلد للسابقين، وإن كان الماحى قد سار على نهج البحترى وأبى تمام والمتنبى فى المحافظة على شكل القصيدة العام من حيث قوانين الشعر وفنه الرفيع، ولكنه لم يتحدث عن أحداث الماضى، بل تحدث عن الحاضر وعاش مع معاصريه وعاشوا معه فى شعوره وإحساسه وعواطفه بما نظم من قصائد وطنية واجتماعية وإخوانية، وأشـعار تناولـت الأحـداث العربية، وأحلام الشباب، وأخلاق الإسلام، وقصائد وجدانية، ومراثـى لمحبيـه وأصدقائه .

فالديوان صورة صادقة للحياة التى عاشها الماحى ، وللمجتمع بما حوى من أحداث كبرى وشخصيات لامعة ، وموضوعات نفيسة ، وآمـال وأحـلام وأشجان .

وإن كان هناك غرضين من أغراض الشعر أسقطهما الماحى من بـين أغراض شعره وهما : المدح والهجاء .

(١) الديوان/٤١٩ .

وبعد فديوان الماحى أشبه بشجرة وارفة ذات أغصان وثمار فيها ثمار الوجدانيات وثمار الوطنيات وثمار الاجتماعيات وثمار الروحانيات وفيها رسالة الشاعر والشعر .

والشاعر شخص موهوب ، ذو حساسية خاصة، تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التى لا تدركها الأجهزة الأخرى فى الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات – التى يتلقاها حسه – إلى لون من الأداء الجميل يثير فى النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال[١] . وهذا هو ما فعله الماحى .

**وتلك هى العناصر التى تكونت منها شاعرية الماحى :**

اهتمام منذ النشأة بالأدب العربى قديمه وحديثه، وتيسير فى بسط القول والمعنى دون إغلاق أو إغراق، واستجابة لما تفرضه حنكة التجارب وما توحى به دواعى البيئة وتطور الزمن وحاجات العصر ومصالح الوطن العربى، وتمسك بمقومات الشعر الأصيلة مع التنوع فى الأغراض والموضوعات حسب مقتضيات الظروف والأحوال .

(١) انظر/ منهج الفن الإسلامى/ محمد قطب / ط دار الشروق /١١ .

**الطريقة الفنية فى الأداء " الألفاظ والأساليب " :**

الماحى واحد من شعراء العرب فى العصر الحديث الذين أحسنوا إلى استخدام اللفظ فى الشعر إحسانا عظيماً، ولا غرو " فاللفظ " هو وسيلتنا الوحيدة إلى إدراك القيم الشعورية فى العمل الأدبى، وهو الأداة الوحيدة المهيأة للأديب لينقل إلينا خلالها تجاربه الشعورية، وهو لا يؤدى هاتين المهمتين إلا حين يقع التطابق بينه وبين الحالة الشعورية التى يصورها، وعندئذ فقط يستنفد على قدر الإمكان – تلك الطاقة الشعورية ويوحيها إلى نفوس الآخرين " (١)

ولا تتفاضل الألفاظ إلا بمقدار شفافيتها فى نقل المعنى، وحساسيتها فى نقل الشعور لذا يجب " أن تعبر عن شعور الشاعر وتوضح فكرته وتتفق مع الزمن الذى يسجله، وتنسجم مع التركيب الذى تقع فيه، أى تنسق مع الشكل والموسيقى الذى ارتضاه الشاعر "(٢)

وشاعرنا الماحى قد أوتى ملكة التعبير فى بسطة وسعة، فلديه ذخيرة هائلة من الألفاظ الموحية المعبرة المنتقاه ينفق منها عن بذخ، ويفتن فى وضعها ما شاء له خياله وأدبه وحسن ذوقه، فتراها شديدة قوية حين يتطلب الموضوع القوة، ورقيقة ناعمة مصقولة حين يتطلب الموضوع الرقة . وكأنما وضعت أمامه كنوز اللغة يتخير منها اللفظ المناسب فيلتحم به البناء ويتم به المعنى، وهو يذكرنا بديباجة البحترى وابن المعتز وشوقى .

---

(١) النقد الأدبى أصوله ومناهجه / سيد قطب / ط/ دار الشروق / ط / السابعة / ١٩٩٣م/٧٠

وانظر النقد التطبيقى والموازنات / محمد الصادق عفيفى / ط/ مؤسسة الخانجى/١٩٧٨م/ ١٨٥ .

(٢) قضايا النقد الحديث /د/ محمد السعدى فرهود/ ط/ دار الطباعة المحمدية/ ١٩٧٩م/١٢٠ .

والشاعر " البليغ من يحوك الكلام على حسب الأمانى ويخيط الألفاظ على قدود المعانى "[١] .

وإذا أردت أن أدلل على قدرته البيانية أعجزنى الاختيار، فهى صفة ثابتة لشعره، وبحسبى أن أشير إلى قصيدته " حريق القاهرة " [٢]

وما تمتاز به من ديباجة مشرقة وأسلوب متين . يقول :

**أُذكروا يَوْمَ أُحْرِقَتْ واستُذلتْ ... داركُم واستباحها الإجرامُ**
**أكَلَتْها النّيرانُ أكلا وذابتْ ... فى لَظاها العروضُ فهى حُطامُ**
**وتداعتْ صُروحُها وتهاوتْ ... شامخاتُ القُصُورِ فهى رُكام**
**وخلتْ ساحُها فأَمست قِفاراً ... غشيتها صَفائِحُ ورِجامُ**

وعلى هذه الصورة تمضى أبيات القصيدة ، فلا نجد فيها لفظة نابية غريبة تستوقفها الأذن ، أو تعبيراً مبهماً يحار فيه العقل ، بل نراه قد استخدم الألفاظ الملائمة لفكرته ، المعبرة عن المعنى الذى صيغت من أجله ، مبرزة مشاعره المتعاطفة مع هذا الحادث الأليم . ومن هذه الألفاظ " أحرقت ، استذلت ، استباحها ، الإجرام ، أكلتها ، النيران ، أكلا ، ذابت ، لظاها ، حطام ، تداعت ، صروحها ، تهاوت ، ركام ، خلت ، قفارا ، رجام ، دمرتها، قتام ، شوهاء ، البؤس .... وغيرها من الألفاظ التى انتقاها لتناسب جو القصيدة الذى يتحدث فيه، ويتلاءم مع طبيعة الموضوع الذى يناقشه، ويجد فيه المتنفس لمشاعره وإحساساته ، فاللفظ " وسيلة لنقل المعنى، ولا قيمة له إلا بمعناه ، كما أن المعنى لا يحيا إلا باللفظ "[٣]

---

(١) العمدة لابن رشيق/ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد / ط/ دار الجيل/ ١٢٨/١ .
(٢) الديوان/٤ ، ٥ .
(٣) أصول النقد الأدبى / أحمد الشايب/ ط/ مكتبة النهضة المصرية / ط / الثامنة /١٩٧٣م/٢٤٧ .

وقد استطاع الماحى بألفاظه الواضحة فى قصيدته هذه أن يصور المعنى الذى أراد إيصاله لنا، وهو ما أصاب القاهرة العامرة الشامخة من جراء هذا الحادث المدمر .

ويأخذنا الحديث عن ألفاظ شعر الماحى إلى الحديث عن معجمه الشعرى، فلكل شاعر معجمه الشعرى الخاص الذى يرتبط بشخصيته وبيئته وثقافته ومن خلال مطالعتى لشعر الماحى رأيت اكثاره من الألفاظ المتصلة بالطبيعة، فهو يربط بينها وبين وجدانه حينا، وبينها وبين قضاياه التى يريد أن يناقشها حيناً آخر، وترددت ألفاظ كثيرة محملة بالدلالات الشعورية والجمالية فى عباراته وصوره يقول معبراً عن " محاسن الطبيعة "(١) :

**أَبَحْتُكَ الرَّوْضَ فيه الآسُ والبانُ ... فَقرَّ عينا ولا تحزنكَ أَشجانُ**
**جادَ الربيعُ على أنحائه فَزَها ... فيه من الزهر والأثمارِ ألوانُ**
**قُطوفُ أَعنابه للرَّاحِ دانيةٌ ... ودُونَ ذلك تُفَّاحُ ورومَّانُ**
**كأنما النَّورُ إذ يفترُّ مبتسماً ... تبرٌ ودُرٌّ ويا قوتٌ ومرْجانُ**
**وللمياهِ خَريرٌ فى تدفُّقها ... وللطيورِ على العِيدان أَلحانُ**
**وللغُصونِ اهتزازٌ حين تَدْفعها ... يدُ النسيم كما يهتز نشوانُ**
**تميلُ فوقَ مُتونِ الماءِ مُفضيةً ... لها بسر فتدرى السِّر غدرانُ**
**تلك الطبيعةُ تبدو فى مشاهدها ... جَلواءَ يعجبُ منها الإنسُ والجانُ**

وتنبض الأبيات بحب الماحى للطبيعة، وارتباطه بمظاهرها، ومن مشاهد الطبيعة التى جعلها شاهداً على أحد أصفيائه بعد ما خاب ظن الشاعر فيه، فصاح به هذه الصيحة فى قصيدته " فى العتاب "(٢) :

---

(١) الديوان/١٦٩ .
(٢) الديوان/٢٤٦ .

**بربِّكَ هل تَنْسَى زماناً مُحَـــبَّباً كِلانا به فى روضةِ الأُنس رَاتِعُ ؟**
**ومجلسُنا بين الرياضِ وزهرُها يفـــــوحُ عَبيراً والزمانُ موادعُ**
**تُظللنا الأغصانُ وهى وريقـــةٌ وتـــطربُنا الأطيارُ وهى سَواجعُ**

وقد تأثر معجم الماحى بالتطور الحضارى، وظهر هذا فى بعض ألفاظه مثل، الذرة[١]، المذياع[٢]، الدستور[٣]، الطائرات[٤]، الصاروخ[٥]، التمثيـل[٦]، الفن[٧]، وغيرها .

كما دخل معجمه بعض الألفاظ الأعجمية مثل :

نيرون[٨]، تشرشل[٩]، إيـدن[١٠]، التـاميز[١١]، كسـرى، قيصـر[١٢]، نيويورك[١٣]، إيلات[١٤]، ميشيل[١٥]، أنشتاين[١] .... الخ

---

(١) الديوان/١٥ .
(٢) الديوان/١٥ .
(٣) الديوان/٦ .
(٤) الديوان/٥٧ .
(٥) الديوان/٦٨ .
(٦) الديوان/٨٢ .
(٧) الديوان/٨٢ .
(٨) الديوان/٥ .
(٩) الديوان/٩ .
(١٠) الديوان/١٩ .
(١١) الديوان/٢٠ .
(١٢) الديوان/٣١ .
(١٣) الديوان/٥٣ .
(١٤) الديوان/٦٣ .
(١٥) الديوان/٧٩ .

تأثر معجم الماحى بألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مثل : الحق والهدى والسلام[٢]، الصوم والصلاة[٣]، آيات مبينة تهدى إلى الحق[٤]، المسلمون[٥]، خاتماً للمرسلين[٦]، المسجد الأقصى[٧] موسى، عيسى، رحمة للعالمينا[٨]، الله[٩]، النصر والفتح المبينا[١٠]، خير المسلمين، ينشر الحق، وحى وقرآن[١١]، مهبط الوحى، موسى الكليم[١٢]، عيسى الرحيم، نور اليقين[١٣]، الجهاد[١٤]، الكعبة، الرحمن، تسبيح، تحميد[١٥]، الحمد والصلوات[١٦]، الهجرة، المساواة، الإخاء[١٧]، يوم الحشر، توب التائبين[١]، وبقى أن أقول : إن كم

(١) الديوان/٨٧ .
(٢) الديوان/٣ .
(٣) الديوان/٩ .
(٤) الديوان/٢٧ .
(٥) الديوان/٣٣ .
(٦) الديوان/٣٣ .
(٧) الديوان/٣٤ .
(٨) الديوان/٣٤ .
(٩) الديوان/٣٥ .
(١٠) الديوان/٣٧ .
(١١) الديوان/٤١ .
(١٢) الديوان/٥١ .
(١٣) الديوان/٥٢ .
(١٤) الديوان/٦١ .
(١٥) الديوان/١٣٤ .
(١٦) الديوان/١٣٥ .
(١٧) الديوان/١٣٦، ١٣٧ .

الألفاظ التى تكون فى متناول الشاعر لا تحدد منزلته بين الشعراء، وإنما الذى يحدد مكانته الطريقة التى يستخدم بها هذه الألفاظ، وأن المهم هو إحساس الشاعر بطاقة الألفاظ التى يعتمد عليها فى إنشاء قصائده . وقد اعتمد الماحى على الألفاظ ذات الطاقة الهائلة من التعبير، والإيحاء، والرشاقة والخفة، والسلاسة، والرقة .

**الأساليب** :

الأسلوب هو طريقة الأديب فى النظم والتأليف، أو كما قال عنه ابن خلدون بأنه : " المنوال الذى ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذى يفرغ فيه "[٢] . وكلما كان الأسلوب معبراً عن خلجات صاحبه كان له أعمق الأثر فى نفس للمتلقى وهذا هو الأسلوب الجيد .

وقد تنوع أسلوب الماحى بين الخبر والإنشاء بكافة أدواته، من نداء إلى أمر إلى استفهام إلى دعاء إلى تمنى إلى نهى وغيرها من الأساليب الإنشائية، بحيث لا تكاد قصيدة تخلو منه، فتارة تجده فى بدء قصائده، وتارة فى ثناياها . يقول فى مطلع قصيدته " بورسعيد الباسلة "[٣] :

**حيُّوا معى البلدَ الأعزَّ الأمنعَا عُنوانَ " مصرَ " كرامةً وترفُّعَا**

فقد استخدم الشاعر أحد أساليب الإنشاء، وهو أسلوب الأمر، وقد قصد منه الشاعر إثارة مشاعر المتلقى إلى ما سيلقى عليه
ويقول فى مطلع قصيدته " تضرع ودعاء "[١] :

---

(١) الديوان/١٤٨ .
(٢) مقدمة العلامة ابن خلدون / ط/ دار الكتب العلمية/ الرابعة/ ١٩٧٨م/٥٧٠، ٥٧١ .
(٣) الديوان/١٨ .

**يا ربّ أيُّ ثناءٍ أستطيعُ بهِ إيفاءَ حقكَ من حَمْدٍ وتمجيدِ ؟**

فقد جمع الشاعر بين أسلوبين من أساليب الإنشاء وهما النداء والاستفهام.

ومن الأساليب التى دأب الماحى على استعمالها فى شعره أسلوب التكرار وهو أسلوب يؤدى دوراً تعبيراً واضحاً لأن " التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة فى العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى، ذو دلالة نفسية قيمة، فهو يضع فى أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التى يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها "[٢] .

وقد جاء التكرار فى شعر الماحى فى أشكال وصور متعددة، ما بين التكرار البسيط الذى لا يتجاوز تكرار لفظة معينة أو عبارة معينة وبين أشكال أخرى أكثر تركيباً وتعقيداً يتصرف فيها الشاعر فى العنصر المكرر بحيث تغدو أقوى إيحاء "[٣]

ولعل أبسط أنواع التكرار، تكرار حرف فى مجموعة أبيات متتالية فى قصيدة . مثل قول الماحى فى قصيدته " العالم العربى سنة ٢٠٠٠ "[٤]

**لا انقسامٌ، لا فرقةٌ لا عداءٌ لارضـــــــاءٌ بالذلّ والإقلالِ**

---

(١) الديوان/١٣٤ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة / ط / دار العلم للملايين/ الثامنة/ ١٩٨٩م/٢٦٣ .

(٣) انظر عن بناء القصيدة العربية الحديثة/ د/ على عشرى زايد / ط/ دار مرجان ط الأولى/١٩٧٨م/٦١ .

(٤) الديوان/٥٥ .

**لا خضوعٌ لغاصبٍ وانحناءُ ... لقويٍّ فى زهـــــــوهِ متعالِ**
**لا خوونٌ يَكيد كيداً خفِيا ... فى ثيـــــابِ المكابرِ الخَتّالِ**

فقد كرر الشاعر حرف " لا " فى أكثر من بيت، بل كرره فى بيت واحد أكثر من مرة، بهدف التأكيد على شعور معين تمثل فى أمر شغل عقل الشاعر .

ومن أنواع التكرار تكرار كلمة اسمية أو فعلية . يقول فى قصيدة " معاودة الحنين إلى الوطن "[١] :

**أَيام لا التبعاتُ تُثْقلُ كاهــلى ... وتزيدُ فى هَمِّى وفــى أَوهامِى**
**أَيام يبسمُ لى الزمانُ مُسالماً ... ومُبــــشرا مــن صفوِه بدَوَامِ**
**أَيام أرتعُ فى رياضكَ لا أَرى ... إلا محـــــاســنَ لا تشابُ بذَامِ**

فقد كرر الشاعر كلمة " أيام " فى ثلاث أبيات متتالية، وكأنه يؤكد علـــى ذكرياته فى بلده الحبيب .

وقوله فى قصيدة " نظام الوقف "[٢] :

**سَلوا عن نُفُوسٍ حاربَ البؤسُ أهلَها ... فأسعـــــفها منه الندىَ والتكرمُ**
**سلوا عن بُيُوتِ اللهِ كيف تزينتْ ... وكيف بدتْ فيــها من العِلم أنجم**
**سَلُوا " الجيزةَ " الفيحاء أى مـــــدينةٍ ... بَناها " كسامراءً " بل هى أعظم**
**سَلُوا مستحقى الوقفِ كيف أغاثــهم ... وأنصفــهم من حيثُ لم يتوهَّمُوا**

ومن تكرار العبارة قوله فى قصيدة " فلسطين "[٣] :

**فلسطينُ الشهيدةُ خـــــبرينا ... فــقد ظـــــن الدعاةُ بك الظُّنونَا**

---

(١) الديوان/٩٦ .
(٢) الديوان/٧٦، ٧٧ .
(٣) الديوان/٣٠ وما بعدها .

فلسطينُ الشهيدة كنت هَدْيا ... رآهُ أخو الـــــهوى صَيداً سمينا
فلسطينُ الشهيدةُ لا تُراعِى ... فإنا حــول " قُدسِكِ " رابضُونا
فلسطين الشهيدةُ قد ظللنا ... على إحـــــياء مجدِكِ عاكفينا
فلسطين الشهيدة فيك نَفْنَى ... ونحنَ حُماةُ " قدسِك " ما حيينا

وبعد فقد أحسن الماحى فى تكراره كأسلوب من أساليبه الشعرية فاستخدمه فى مكانه من القصيدة، وربط بينه وبين المعنى العام وأصبح لكل تكرار فائة إيجابية ذهبت إلى أبعد من مجرد التحلية والزينة اللفظية .

ومن السمات الواضحة فى أسلوب الماحى أسلوب الاقتباس فقد حفظ الشاعر القرآن الكريم فى سن مبكرة، مما كان له أكبر الأثر فى أسلوبه الشعرى، فشاع فى شعره ألفاظ من القرآن الكريم أكسبت أبياته روعة وإشراقاً وجمالاً ومنها قوله فى قصيدة " إلى ولدى فى فلسطين "[١]

إنى نَذَرتُكَ للرحمنِ فامضِ على ... مشيئة اللهِ لا وهنٌ ولا رَهَبُ

فالشطر الأول من البيت اقتبسه الشاعر من قوله تعالى :

﴿ .. إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [٢]

وقوله فى قصيدة " فلسطين "[٣] :

بك " القدسُ " الذى أسْرَى إليه ... نَبىٌّ يصـــــحبُ الرُّوحَ الأَمِينا
وبَارَكَ حـــــولُه المَوْلَى تعالى ... فكانَ مـــــــنارةً للمهتدينا

مأخوذ من قوله تعالى :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[١]

---

(١) الديوان/٢٩ .
(٢) سورة مريم/٢٦ .
(٣) الديوان/٣٠ وما بعدها .

وقوله فى مقطوعة " الدنيا "[٢] :

**أَلا إنَّما الدُّنيا متاعُ غُرُور يُداولُ فيها من أَسى وسرور**

مأخوذ من قوله تعالى : ﴿.. **وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور** ﴾[٣]

وقوله فى مقطوعة " أهل هذا الزمان "[٤] :

**لا يَزالون خشيةَ الذل فى الذلّ وخوفَ الإملاق فى إملاق**

من قوله تعالى :

﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ** .. ﴾ [٥]

ومما تقدم يتبين مدى تأثر الماحى بروح القرآن الكريم، فأثر تأثراً رائعاً فى ألفاظه وكلماته وعباراته ومعانيه .

۞۞۞

**التجربة الشعرية** :

التجربة الشعرية حالة شعورية، تلابس الشاعر، وتوجهه إلى موضوع، أو واقعة، أو مرأى من مرائى الوجود، بحيث تؤثر فيه تأثيراً قوياً، يدفعه فى وعى أو فى غير وعى إلى التعبير عما تأثر به [٦] .

وكل ما فى الحياة صالح لأن يكون تجربة شعرية، والشاعر الموهوب هو الذى يستطيع بمقدرته الفنية وبقوة شاعريته ونضوجه الفكرى وقوة تصويره

---

(١) سورة الإسراء/١ .
(٢) الديوان/٩٥ .
(٣) سورة آل عمران/١٨٥ .
(٤) الديوان/٩٥ .
(٥) سورة الإسراء/٣١ .
(٦) انظر الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث / مصطفى عبد اللطيف السحرتى /٢٤، ٢٥

أن يتعايش معها معايشة حقيقية ويضفى عليها من وجدانه وأحاسيسه وتصويره وإدراكه وتفكيره وأخيلته ما ينفذ به إلى ما فيها من معانى فى جمالية إنسانية .

فهى إذن " الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التى يصورها الشاعر حين يفكر فى أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه وفيها يرجع الشاعر إلى امتناع ذاتى وإخلاص فنى، لا إلى مجرد مهارته فى صياغة القول ليعث بالحقائق أو يجارى شعور الآخرين لينال رضاهم والشاعر الحق هو الذى تتضح فى نفسه تجربته، ويقف على أجزائها بفكره، ويرتبها ترتيباً، قبل أن يفكر فى الكتابة " (١) .

بمعنى أن تكون واضحة المعالم متميزة الأجزاء وكل جزء يقود إلى أخيه، ولا يمكن أن يقوم جزء تال بدون سابقة ؛ لأنه هو الذى يفضى إليه وليس بين جزء وجزء ثغرات ولا وهاد ولا عوائق بأى شكل من الأشكال، بل الأجزاء تتعاقب متسلسلة، وكل جزء يغاير صاحبه، ولكن لا المغايرة التى تفصله منه وتجعله نابيا عنه، فبينهما أو بين الأجزاء جميعها وحدة تجعل منها كلاً واحداً أو تجربة واحدة (٢) .

وهكذا كانت تجارب الماحى الشعرية، ولديه من النماذج الفنية التى أبدعتها قريحته ما يؤيد هذا القول مثل قصيدة " فرعون يعاتب أبناءه(٣) " يصف فيها الشاعر ما رآه حينما زار منطقة الأهرام فى ليلة مقمرة من صيف سنة ١٩٥١م، فشاهد كثيراً من مناظر الخلاعة والاستهتار، وقد صاغها الشاعر بعد

(١) النقد الأدبى الحديث / د. محمد غنيمى هلال/ ط/ نهضة مصر/٣٦٣ .
(٢) انظر فى النقد الأدبى/ د. شوقى ضيف/ ط/ دار المعارف/ ط/ الخامسة/١٣٩ .
(٣) الديوان / ٢٠٦ .

معايشة حقيقية للتجربة، كما نلمح بها الصدق الفنى النابع من ذات الشاعر ووجدانه يقول :

**يا هَوْلَ ما صنَعَتْ يَدُ الأَقْدَار ... من نقمةٍ بعجائبِ الآثارِ**
**أمستْ مرابعُها مراتعَ فتنةٍ ... للمفسدين وموطنَ استهتارِ**
**فرعون قُمْ هذا مقامُك قد عَدَا ... عادٍ عليه فلا تنمْ للعارِ**
**فرعونُ قم هذا بناؤك عَالياً ... مالتْ بحائطهِ يدُ الفجارِ**

وثمة سمات موضوعية هامة تستوفيها التجربة حتى تخرج عملاً شعرياً تاماً :

**- وحدة القصيدة :**

بمعنى وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك فى ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهى إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفة فيها، ويؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر(١) .

بحيث ترى الفكرة تشد ما بعدها، ويشدها ما قبلها، على كثرة الأفكار، وتلون الصور .

فوحدة القصيدة ليست كما قد يتبادر إلى بعض الشعراء أن تتوالى أبيات فى موضوع بعينه، ولكنها أبعد من ذلك عمقاً، إذ لابد أن تصور الأبيات فى قصيدتها حدثاً وجدانياً تاماً تندرج فيه، بل قل تتخلق تخلقاً تاماً على نحو ما يتخلق الجنين تخلقا كاملاً "(٢) .

---

(١) انظر فى النقد الأدبى الحديث/٣٧٣ .
(٢) فى النقد الأدبى/ ١٦٠ .

وقد التزم الماحى فى معظم قصائده بالوحدة الموضوعية ، فقصائده تمثل وحدة الموضوع ، والدخول إليه مباشرة دون التعرض لمقدمات ومنها قصائد : " فى سبيل الجهاد "، " الثورة المصرية الحديثة "، " أحلام الشباب "، " فلسطين " ، " قصة أحمس "، " ومى زيادة "، وغيرها من قصائد الديوان .

**- الصدق :**

وهو محور التجربة الشعرية، فلابد أن يتوفر فيها، فيعبر الشاعر عما يجده فى نفسه ويؤمن به، ويجئ تعبيره مخلصاً أميناً عن شعوره ووجدانه ؛ لأن ذلك الصدق هو الذى يمنحها القوة والقدرة على إثارة القارئ، وهز مشاعره . ولا يراد بصدق التجربة أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها، بل يكفى أن يكون قد لا حظها، وعرف بفكره عناصرها وآمن بها، ولا ينافى الصدق أن يخلق الشاعر عنصراً خيالياً، يحقق من خلاله أحلامه(١) .

ومن أروع قصائد الديوان التى ظهر فيها عنصر الصدق ما قاله فى الصداقة والأصدقاء ؛ لأنه ينطق عن الشعور الصادق، وعن همسات النفس، وخلجات القلب ووحى الضمير . وحسب الشاعر أن يكون صادقاً أميناً لتظل صورته أمام القارئ خالصة من الشوائب، عابرة كالحلم سارية كالنغم، فواحة كالشذا، رفافة كالنسم .

والماحى وفى فى صداقته، صادق فى وفائه، معتد بألفته للناس، حريص على الصداقة، مشيد بها، مرتفع بالوفاء بين الأصدقاء إلى مرتبة امتزاج

(١) انظر/ إتجاهات وآراء فى النقد الحديث / د / محمد نايل / ط / مطبعة الرسالة/١٩٧١م / ٣٩ ، ٤٠ .

الأرواح، ومن هذه القصائد قصيدة " الصداقة "، و" مودة الغريب "، و" رب صديق أبر من شقيق "، و" الوفاء بين الأصدقاء "[١]

ومنها قوله :

**إذا تباعدَ جسما صاحبــين فَما ... فى ذاك نقصٌ لود ضَمَّ روحين**

**بين القلوب اتصالٌ فى تباعدها ... نورُ الوفاء يزيد الحب ضعفين**

**كم أَلَّف الود من قلــبين فائتلَفَا ... به وقَسَّم رُوحــاً بين جسمين**

فالشاعر يقدر الصداقة وحرمتها، ويعرف قدر الصديق وماله من حــق، وفى رأيه أن الوفاء أسمى ما ترتبط به القلوب، وأن الجزاء عليه لا يضن فيــه بالأرواح، وعقيدته أن من لا أصدقاء له لا أهل له . وعاطفة الشاعر صادقة فى تعبيره عن رأيه وتصويره للوفاء بين الأصدقاء يقول :

**إنَّ الصداقةَ كنزٌ ليس يقدُرُه ... إلا أمينٌ على عهدٍ وأَيمانِ**

وصدق الماحى فى وفائه لإخوانه الذين رحلوا عن الدنيا أعظم وأوثــق وفى ديوانه شواهد كثيرة امتزج فيها الوفاء بالشعور الصادق يقول فى قصــيدة " عبر فى حياة عظيم "[٢]

**بكيتُ فقالوا حسب عينيك أدمعا ... وحسبك فى الخطْب المُــلمِّ تَفَجعا**

**فقلتُ ذرونى أَذرف الدمعَ قانيا ... فما هو دمعٌ بل فُــــؤاد تَصدَّعا**

**وقلت دَعُونى والرثاءَ أصوغُهُ ... وأندبُ فيه أكرمَ الصحبِ مصرعا**

**وأَقْضى به حَقَّ الوفاء لصاحبِ ... وَفىٍّ تجلى فضــــــــلُهُ يومَ شُيِّعَا**

---

(١) الديوان/٢٤٦ .

(٢) الديوان/٢١٥ .

وما أصدق قوله فى الدعوة إلى التمسك بالدين فى قصيدة " من وحى الربيع للشرق "[١] :

**ليسَ كالدِّين مُصلحاً لقلوبِ أفسدتْها طَبائعُ الأَزمانِ**
**ليس كالدين مُنقذاً لنفوسِ حَطَّمتها نوازعُ الشيطانِ**

وهو صادق فى دعوته، لذا فقد كررها أكثر من مرة فى أكثر من قصيدة يقول فى قصيدة " من وحى الهجرة "[٢] متمنيا أن تعود للإسلام قوته، منددا بقوى الاستعمار، داعيا المسلمين إلى التمسك بكتاب الله لينتصروا :

**فهل تعودُ إلى الإسلامِ قوتُه ويحزمُ المسلمونَ اليومَ أمرهُم ؟**
**ويجعلونَ كتابَ الله قبلتُهم فإنه الفيصل الماضى إذا احتكَمُوا**
**ويجمعون على الحُسنَى شتاتهم فتطُهر النفسُ والأعراضُ والشيمُ**

۞۞۞

**العاطفة** :

العاطفة من أهم دعائم الشعر، ولا سيما التجربة الشعرية، فهى عنصرها الأول والشرفة التى تطل منها على ما تنطوى عليه النفوس من ألم وأمل، والمنفذ التى تصل منه إلى القلوب، وهى ترجمان لما يكمن فى مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية، وهى التى توجه الفن إلى المثل العليا فى الحياة . فالعاطفة أشبه بآلات التصوير وزجاجها الحساس، فهى تلتقط من ألوان الحياة

(١) الديوان/٥١ .
(٢) الديوان/١٣٦ وما بعدها .

ومظاهرها ما يروقها، ثم تعكس كل ذلك على صفحة النفس، فتخرج صورا تكون نماذج للحياة وما فيها، وللنفوس وما يتغلغل فى نواحيها(١) .

وللعاطفة الصادقة فى شعر " الماحى " مدىً رحيب سطّر فيه كل ما يمكن أن تحمل النفس الإنسانية من صدق وإخلاص ووفاء

ومن وجدانياته تبرز العاطفة المتزنة المتماسكة التى تأبى التهافت والميوعة ، كما تأبى أن تظهر إلا فى ثوب من الحشمة والوقار يقول فى قصيدة " ريحانة القلب "(٢) :

**رَيْحانَةَ القَلْبِ هَلْ وَعْدٌ نسَرُّبِهِ ؟ فَقَدْ تَعَذَّبَ بالهِجْرانِ صادِينَا**
**هَلْ كُنْت إلا نَعِيماً فاتَنا وَمَضَى أَو كُنْت إلاَّ شَذًى مارَفَّ يُحْيِينَا ؟**
**نأيْتِ عَنَّا فَلا واللهِ مَا هَدَأَتْ نَفْسٌ وَلاَ رَقَأَتْ عَيْنٌ لِباكِينَا**
**لو يكْشِفُ اللهُ عَنْ قَلْبى لَبانَ هَوىً هَيْهات أُو فِيه إيضاحاً وتَبْيِيناً**
**هَوىً تَمَلَّكَ مِنّى كُلَّ عاطِفَةٍ فكِدْتُ أَحْسَبُهُ مِنْ لُطْفِهِ دِيناً**

ومن رقيق غزله معانيه التى سطرها فى قصيدته " إلى هاجرى "(٣) ففيها لوعة انطوى عليها فؤاده، ونار شبت بين جوانحه تبرز عاطفة متقدة، ولكن طبيعة الشاعر الهادئة غلفتها بأسلوب سحرى رائع يقول :

**كمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيتُها فى حَسْرَةٍ أَشْكو، وَيُعْيِينى تَطَلُّبُ هاجرى**
**فأَقولُ : هلْ لِلحُبِّ ما يُشفَى به ؟ يا رَبِّ أَمْ لِجَفائِه مِنْ آخِرِ ؟**

---

(١) انظر الأصول الفنية للأدب/ عبد الحميد حسن/ ط/ مكتبة الانجلو المصرية /١٩٤٩م /٦٥ وما بعدها .
(٢) الديوان/١٨٣ .
(٣) الديوان/١٩٠ .

لَم نَقْضِ مِنْ عَهْدِ الصِّبا إلاَّ كما ... يَقْضى مُحِبٌّ مِنْ خَيالِ زائـــر !!
أُصْقِيكَ وُدّاً رَقَّ حَتَّى أنَّـــــهُ ... كادَتْ لِرِقَّتِهِ تَشِفُّ سَرائـــــرِىَ
لوْ مَرَّ بالغُصْنِ الْيبيسِ أَعــادَهُ ... فى نَضْرَةِ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ الزَّاهِرِ
تَحْلو بِه الأَيَّامُ وَهَى مَريـــرَةٌ ... وتَهونُ فــيه أَذَاةُ كـــــلَّ مُكابرِ

.....

أَهْوِنْ بِقَلْبِ لَمْ يَفِضْ حَبًّا ولَم ... يُسْعِفْهُ عِنْدَ النَّأْيِ فَيْضُ مَحــاجِرِ
إِنَّا لَمُشْترِ كانِ فى حُكْمِ الهَوىَ ... فَلِمَ انْفَرَدْتَ بِكُلَّ حُكْمِ جـــائرِ ؟

فقد سجل الشاعر بريشة أبياته حالة الهجران بين المحبين، والمحب حين يتعرض للصد والهجران . ويختمها بتوجيه سؤال إلى هاجره لماذا ينفرد وحده بأحكام الحب الجائرة ؟

والملاحظ أن معانى هذه الأبيات قد تداولها الشــعراء، ولكــن براعــة الشاعر فى صياغتها أضفت عليها جمالاً، من شأنه أن يدخل فى مشاعر القارئ وأحاسيسه أن لُمَعاً جديدة تشع منها .

وتلمس فى ثنايا غزله روحاً خفيفة، يزيدها أصالة أن الشاعر متمســك بنهج القدماء جزالة وأصالة وقوة .

وقد ارتفع الماحى بعاطفته فى شعره الغزلــى، وربمــا كــان لنشــأته الإسلامية ووظيفته فى ديوان الأوقاف أثر فى اتجاهه العاطفى .

– كما غلى شعره الوطنى بالعاطفة القومية، وتدفق بالحماس وهو يحي الوحدة العربية، ثم وهو يهتف للثورة المصرية الحديثة بكل ما حوت جوارحــه من وعى واندفاع مستنير يقول فى قصيدته " الثورة ونهضة مصر "[١] :

(١) الديوان/١١ .

لَكِ يا مِصْرُ خاطِرى وَجَنانِى إِنْ تَمَنَّيْتُ كُنْتِ أَغْلَى الأَمــانى
أَنْتِ رَمْزُ الخُلُودِ فِى كلّ عصرٍ أَنْتِ مُذْ كُنْتِ مَعْــــقِلُ الشُّجْعانِ
وَإِذا ضُمِّن الْمَزايا كِـــــتابٌ كان ماضِـــــيكِ فيه كالعُنوانِ

كما نرى هذه النفس الشاعرة تذوب رقة ودعة وصفاء فـــى عاطفتهـــا الدينية التى سطرها الشاعر فى أبيات كثيرة من الديوان كلها تذوب رقة ورهافة حس يقول فى قصيدة " خواطر فى الروضة النبوية "[١]

يا جيرَةَ الرَّوضَةِ الْفَيْحَاءِ حَسْبُكُمُ أَنْ تُصْبُحوا لِرَســولِ اللهِ جيرَانا
أَكْرِمْ بها رَوْضَةَ بالطّيبِ نَافحةً نَشِقْتُ مِنْ عِطْرِهَا رَوْحاً ورَيْحَانا
أنعَم بها جنة فى صدق مخبرها أكاد أبصر رأى العــين رضوانا
إنّى لألْمَس فى قُرْبِ الحبيب هُدًى وَرَحْمَةً وَمَثُـــــوباتٍ وتَحنْانا

ونهل الشاعر من ماء زمزم فجاشت نفسه بقوله[٢] :

وأَىُّ رضاً للنَّفْسِ يُطْفئُ حَرَّهَا سِوَىُ رؤيَة البَيْتِ العَتِيق لذِى اللُّبِّ ؟
لكَ الحَمْدَ قَدْ جئنا لبَيْتِك خُشَّعا وَأَنْتَ كــــريمٌ مُحْسنٌ غافرُ الذَّنْب
تَضَاعفتِ الآثامُ واشْتَدَّ خطبها فَلَيس لـــــــها إلا رضاؤكَ يا رَبِّى

وبدت فى الديوان عاطفة الألم والحزن حين ذرف الشاعر دموعه فـــى رثاء من فرقت بينه وبينهم يد المنون من الأعزاء على نفسه، ولعل أوضح مثل على لوعته المشبوبة وحزنه الدفين، تلك المرثية التى ضمنها أحاسيسه ومشاعره

(١) الديوان/١٤٣ .
(٢) الديوان/١٤٥ .

وعاطفته المتأججة فى ذكرى وفاة كريمته " هدى "[١] إذ قال فيها مصوراً شجنه وأساه فى العيد :

**الـــعِيدُ جاءَ! فَما نَعِمْتُ بعَوْدِهِ ... هلْ فـــــيهِ غَيْرُ تَحَرُّقٍ وَأُوامِ ؟**
**أَمْ فيهِ غَيْرُ الذِّكْرَياتِ تَهيجُها ... – رَغْمَ التَّأَسِّى – دورة الأعوامَ ؟**
**دَمْـــعٌ يَسِيلُ وأَنفسٌ مُلْتاعَةٌ ... لَـــمْ يَشْفِهِنَّ تَطاولُ الأيَّـــــــامِ**

ويبثها حزنه وشوقه فى قصيدة " إلى روح ابنتى "[٢] ولا غرو فقد فجع فيها وهى صغرى بناته وكانت فى الرابعة من العمر وكانت ريحانته المنـــورة وعلالته المروحة، فسكب عليها هذه الدمعة :

**لِمَ عَجَّلَتْ نَحو المَنُون خُطاك ... يا وَرْدَةً سَلِمتْ من الأَشْواكِ ؟**
**يا زَهْرةً ما كانَ أَرْوَعَ طيبها ... فارقتنى فَحُرمتُ طيبَ شَذاكِ**
**لما زهَا منك الجَبينُ وأينعتْ ... فيك المُنَى جاءَ الرَّدَى فَطَواكِ**

ومن صور العاطفة التى تترجم عن الإخلاص والوفاء والإخاء فى شعر الماحى تصويره لعاطفة الوفاء والحفاظ على العهود والمواثيق بين الأصدقاء فى قصيدة " الوفاء بين الأصدقاء "[٣] :

**إذا تَباعَدَ جِـــسْمَا صَاحبَيْن فما ... فى ذاكَ نقصٌ لِوُدٍّ ضَمَّ رُوحين**
**بَيْنَ القُلوب اتصال فى تباعُدها ... نُورُ الوفاءِ يَزيدُ الحُبَّ ضعفين**
**كم أَلَّف الوُدُّ مـــن قبلينِ فائتلَفَا ... به وقَسَّمَ رُوحـــاً بَيْنَ جِسمينِ**

---

(١) الديوان/٢٨٦ وما بعدها .
(٢) الديوان/٢٨٥ .
(٣) الديوان/٢٤٦ .

ومن القصائد التى ظهرت فيها عاطفة الشاعر قوية، قصيدته " عودة شاعر "[١]، فقد انفعل قلبه بالحقوق الأزلية للإنسان وأبسطها حرية الرأى، فقال يهتف لحرية الإنسان ويتغنى بالعدالة ويلعن الظلم وينذر الظالمين :

**قلْ للذينَ بَغَوا فى الأرْضِ حَسبكمُ أَيْنَ المفرُّ وهَلْ فى العيشِ تخليدُ ؟**
**لو كانَ يُدركُ عُقْبَى البغى آثمهُ لباتَ وهو عن الإيـــذاء مردودُ**
**كم كنتُ أحبسُ أنفاساً مُسعَّرةً يسعى بها حاقدٌ فى القومِ عربيدُ[٢]**
**وكم قصفتُ يَرَاعِى حين جاذَبَهُ حُرِّيَة القـــولِ تقييدٌ وتفنيدُ[٣]**

وبعد فهذه لمحات خاطفة للعاطفة فى شعر الماحى قرر من خلالها الشاعر أن التناسق فى لوحة الحياة البشرية يقتضى أن تكون الوجدانات التى يصورها الفن شاملة لكل العواطف البشرية، فى مختلف حالاتها ومجالاتها، لا مقصورة على لون معين من ألوان الوجدان . وذلك هو الذى يليق بالواقعية الحقة التى ينبغى أن يمارسها الفن فى تصويره للحياة[٤] .

ولذا أصبحت العاطفة من أهم عناصر التجربة الشعرية ، لأنها أول ما يتميز به الشاعر الصادق فى التعبير عن عواطفه التى تجيش بنفسه ، وهنا تكمن قيمة التجربة الشعرية فى القدرة على إثارة ما فى النفس البشرية من مشاعر إنسانية كامنة ، وبقدر ما تكون إثارة الانفعال لدى المتلقى تكون براعة الشاعر التى تجعله " رائدا من رواد البشرية يسبق خطاها ، وينير لها الطريق ، فلا

(١) الديوان/١٤٩، ١٥٠ .
(٢) العربيد : سئ الخلق .
(٣) التفنيد : التكذيب واللوم وتخطئة الرأى .
(٤) انظر منهج الفن الإسلامى/ محمد قطب / ط/ دار الشروق/ ١٩٨٣م /٦٥ .

تنقطع بينه وبينها الطريق ! وهو رسول من رسل الحياة إلى الآخرين الـذين لـم يمنحوا " حق الاتصال " كما منحه ذلك الرسول ، فهو يطلع من خفايا الحياة على مالا يطلع عليه الآخرون ، وهو يحسها فى صميمها مجـردة عـن الملابسـات الوقتية، والحدود الزمنية، يحسها كما انبعثت أول مرة من نبعها الأصيل، وكما تدفقت غير متقطعة فى مجراها الواسع الطويل "[١] .

وبهذا تصل التجربة الشعرية الذاتية أعلى درجات الموضـوعية فلـيس معنى كونها ذاتية أنها قاصرة على حدود الشاعر، ولا تخرج عن إطاره .

فما هذا الشاعر إلا رمز للإنسان والإنسانية المشتركة ؛ لـذا فالتجربـة الشعرية تجربة ذاتية فى نشأتها، موضوعية فى نهايتها حيث إنها تعبـر عـن مشاعر صاحبها فى صورة إنسانية عامة .

- **الموسيقى " الإيقاع " :**

عنصر أساسى فى التجربة الشعرية، فهى والشعر صنوان لا يفترقـان وقد تستغنى بعض أبيات القصيدة عن الخيال، ولكنها لا تستغنى عن الموسيقى . والموسيقى خارجية وداخلية، والعروض يحكم الأولى، أما الموسـيقى الداخليـة فتحكمها قيم صوتية باطنية، وهى أرحب من الوزن والنظام المجردين .

وإذا كانت الموسيقى الخارجية تعتمد أساسا على الوزن والقافية فإنهـا تقوم على عدة مبادئ أساسية هى :

١- ملاءمة الوزن الموسيقى للمعانى، والأغراض الشعرية .

٢- دقة اختيار القافية، وبراعة التمهيد والتوطئة لها .

٣- ملاءمة الوزن الموسيقى لعاطفة الشاعر، ودرجة انفعاله .

---

(١) النقد الأدبى أصوله ومناهجه / سيد قطب / ط/ دار الشروق /١٩٩٣م /٢٧ .

وفيما يتصل بالموسيقى الخارجية فقد لاحظ بعض النقاد القدامى والمحدثين أن ثمة فروقا بين القصيدة الواحدة التى تنتمى إلى بحر واحد، فلا يوجد بيتان فى الشعر من صوت متكافئ واحد، فلكل بيت صوته الخاص الذى لا يتحد مع صوت بيت آخر، والذى يفضى بنا إلى هذا الجمال الموسيقى الغريب(١) .

والشعر لا يحقق موسيقيته الداخلية بمحض الإيقاع العام الذى يحدده البحر فقط، بل :

١- بالايقاع الخاص لكل كلمة، أى كل وحدة لغوية، لا تفعيلة عروضية فى البيت .

٢- بالجرس الخاص لكل حرف من الحروف الهجائية المستعملة فى البيت، وتوالى هذه الحروف فى كل كلمة من الكلمات المستعملة، ثم بالجرس المؤتلف الذى تصوره الكلمات فى اجتماعها فى البيت كله، فى تتابعها فى البيت بعد البيت فى كل قصيدة، أو قسم من قصيدة، وبالإنسجام بين الجانبين : الايقاع والجرس تصدر موسيقى خفيفة تسرى فى أوصال القصيدة تسمى بالنغم الشعرى، أو بالموسيقى الداخلية، تمييزا لها عن الموسيقى الخارجية، إذ تجتمع الأصوات اللغوية تحت تنظيم الايقاع فى تموج يعلو ويهبط، ويلين ويشتد، متلائما مع تموج الفكرة والانفعال(٢)

(١) انظر موسيقى الشعر/ د. إبراهيم أنيس/٢٨٨ .

(٢) انظر حسن كامل الصيرفى وتيارات التجديد فى شعره/ د/ محمد سعد فشوان /ط الأولى ١٩٨٥م/ ط/ مطابع سجل العرب / ٢٥٥ .

ولا يتسع المجال هنا لبيان موافقة القصائد وحركتها للموضوع الذى تعبر عنه ولكن نكتفى بأن نذكر فى هذا المجال أن هناك قصائد امتازت باختيار القافية لتناسب موضوعها، وقصائد امتازت باختيار بحر خاص من البحور لمسايرة انفعال الشاعر، انفعال السرور أو الحزن وما إليهما . وهناك قصائد وافقت فى حركتها الموضوع الذى تعبر عنه، وقصائد تماثلت حروف أبياتها مع مخارج الحروف من الفم . وهكذا .

وعلى ضوء هذه الفكرات : حدة الانفعال ، ومسايرة الموسيقى للانفعال وتخير الكلمة ووضعها وضعها الصحيح يمكن الحكم على شعر الماحى حكما تقريبياً ، فشعره صورة نفسه نظاماً واتزاناً وطاقة شعورية قوية وقدرة لغوية هائلة ، من نبع تأثره بشعر المتنبى ، والبحترى وابن زيدون فى غنائيتهم ذات الجرس الموسيقى البديع ، فضرب فى معظم قصائده على نفس الوتر النقى من الأوتار المشجية .

ومن قصائده التى سما فيها على نفسه قصيدته " ذكريات الشاطئ "[1] ومنها :

**بربكِ هل نسيتِ ونحن نمشى حديثَ المُستهام لمستهام**
**يُنيرُ طريقنا حبٌّ وعطفٌ ونحنُ نخوضُ أحشاءَ الظلام**

قصيدة فنية غنائية تصور بصدق عاطفة المحب العفيف، الذى يحب حباً عذرياً . وقد اختار لها قافية الميم ذات الجرس الموسيقى، ونشر فيها جواً هادئا جليلا، وخرجت حروف أبياتها من الفم لا من خارجه، وأتى فيها بتقفية داخلية من خلال ايقاع وجرس الألفاظ فى مثل قوله :

**حبستُ عواطفى وكتمتُ وجدى وفى كتمانِه وقعُ السِّهامِ**

(١) الديوان/١٨٢ .

.....

**لقد أحسستُ قلبكِ فى خُفُوقٍ وقد أحسست صدّرك فى اضطرامِ**

وقد التزم الماحى بعمودية القصيدة من حيث الوزن الشعرى والقافية فى ديوانه كله، اللهم إلا قصيدتان، الأولى : " من قصص الحياة "[1] وهى فصول من حياة فتى نعم بصحبة الجمال فى طفولته، واكتوى بناره فى صباه وشبيبته، ثم ضربت بينهما الأيام بصروفها ، وشاءت المقادير أن يلتقيا بعد فترة ، فوجد الفتى ذلك الحسن الباهر وقد ذبل كما يذبل الزهر الناضر، وكان الشاعر على صلة بهذا الفتى يحس إحساسه فجاشت نفسه بهذه الصور والخواطر فى هذه القصيدة . وقد نوع الشاعر فى قافيتها فبدأ المقطع الأول والثانى بالنون المفتوحة، والثالث والرابع بالهمزة المفتوحة، والخامس والسادس بالنون المفتوحة، والسابع بالميم المفتوحة ، والثامن بالنون المفتوحة ، والتاسع بالراء المفتوحة، والعاشر باللام المفتوحة، والحادى عشر بالياء المفتوحة، والثانى عشر بالنون المفتوحة، ومنها هذه الأبيات :

**نَبِّئينى يا مَنْ أرتنى بحق آيةَ الله جهرةً وعيانا**
**وأضيئى من الحياةِ وُجُوها بتُّ فى فهمِ كُنْهها حيرانا**
**واكشفى سِرَّ ما جَنَتهُ اللَّيالى من أفاعِيلَ تُذهِلُ الإنسانَا**
**كم تفكَّرَتُ جاهدا غير أنى لم يزدنى تفكُّرى عرفانا**

❁❁❁

**لَستُ أَنساكِ فى طفولتِكِ الغضة تُرْهين رَونَقاً وبَهاءَ**
**كنت كالنحلة الدؤوب وكُنَّا من حواليك لا نملُّ البقاء**

(١) الديوان/٢٢٨ .

**فإذا غِبْتِ ساعةً غشـــيتنا وحشةٌ لا تَزولُ حتى اللقاءَ**
**أَسْعدتنا طفولةٌ جمـــــعتنا فنعـــــــمنا طَهارةً ونقاء**

والثانية قصيدة " بين الحقيقة والخيال "[١]

وهى مساجلة بين أديب بائس يحس خيبة الآمال، وبين شـــاعر يحلـــق بخواطره فى سماء الحب والخيال، فى حوار جميل احتوى علـــى كثيـــر مـــن المقاطع السلسلة فى عدد متنوع من القوافى، على طريقة التراث الأندلسى الذى قلده الأوروبيون ومنها هذه الأبيات : الأديب :

**طالت الأحزانُ واشتدَّ الأنـــــينْ وبكتْ عيناىَ من طُـــولِ الحنينْ**
**هل نصيرُ فى جهادى هل مُعينْ ؟ يكشفُ الضر عن القلب الحزين**
**ويردُّ النفسَ للحقِّ المُبينْ**

الشاعر :

**يا أخا الأَحزانِ دَعْ عنك الهمومْ ليسَ من نُعْمَى ولا بُؤسى تَدُومْ**
**إنْ عَذَوتَ فى هـــــــــممٍّ مُقيمْ فـــــــــغداً تَلْقَى أفانينَ النَّعيم**
**لَيستَ كالصبر عتادٌ للكريمْ**

كما كتب الماحى الشعر المقطوعى[٢]، ونماذجه كثيرة، ومبثوثـــة فـــى ديوان الماحى[١] . يقول فى مقطوعه " من أو فى حظا ؟ "[٢]

---

(١) الديوان / ٢٤١ وما بعدها .

(٢) هناك فارق دقيق بين الشعر المقطوعى، والشعر المقطعى، فالشعر المقطعـــى تتكـــون القصيدة الواحدة فيه من عدة مقاطع ينتهى كل مقطع منها بقافية مغايرة لبقية المقـــاطع فى القصيدة، وقد يجمع بينها البحر الشعرى، وقد تأتى من أوزان أو أبحـــر مختلفـــة، ولكن القصيدة يجمعها الموضوع فى النهاية . أما الشعر المقطوعى فهو مالا يبلـــغ أن

**كَرهَ الناسُ عَيْشَـــهمْ وتمنوا أن يَشُدوا إلى الفَناء الرِّحالا**
**وتمنى البقاءَ مـــــنهم أناسٌ حَســــــبُوا فيه لذةً وجَمَالا**
**ليتَ شِعرى أمَنْ تأخَر أو فى من سواهُ حظاً وأسعدُ حالا ؟**

والماحى لا يعترف بالشعر الحر ولا الشعر المنثور، وقد عبر عن رأيه فى قصيدته " رأى فى الشعر الموزون المقفى والشعر الحر "[٣] فقال :

**يا قومُ هاتوا جديدا غير ذى عوجٍ جَمَّ الفصاحةِ فى معنى وبُنيانِ**
**واطربونا بألحانِ منغـــــــــمةٍ لد شـــعرَ إلا بموسيقى وأوزانِ**
**وأَبدعوا ما استطعتمْ فى روائِعِكم على أساسِ من الفصحى وأركانِ**

وقد نظم الماحى على معظم بحور الشعر، والشئ الذى أريد لفت النظر إليه أن الماحى يدرك تماماً أن الموسيقى الشعرية الحقة هى التى تساير موضوع القصيدة وتتواءم مع التجربة، وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتها مع حالات النفس .

**الصورة الشعرية :**

تؤدى الصورة دوراً حيوياً فى بناء القصيدة ؛ لأنها هى الوسيلة الدقيقـــة فى إظهار التجارب الشعرية بما تحوى من أفكار وخواطر ومشاعر وأحاسيس .

---

يكون قصيدة، والقصيدة هى ما بلغت سبعة أبيات فصاعدا – علـــى الأرجـــح – أمـــا المقطوعة فهى ما دون ذلك .

(١) الديوان/١٤، ٧٥، ٩٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٦٦، ١٨١، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠ .

الديوان /٩٥ .

(٢) الديوان /٩٥ .

(٣) الديوان / ١٥٠ وما بعدها .

ولكى تؤدى الصورة دورها، لابد أن تساير الانفعال وجوه، وتتساوق مع الفكرة، وإلا كشفت عن زيف انفعالى أو زيف فكرى، هذا فضلاً عن أن الصورة الشعرية تعتبر بنت التجربة والانفعال والفكرة(١) .

والشاعر المفلق هو الذى يستطيع أن يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدرى أيقرأ قصيدة مسطورة، أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، ويصف الوجدانيات وصفاً يخيل للقارئ أنه يناجى نفسه، ويحاور ضميره، لا أنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد(٢) .

فهى أداة فنية يستخدمها الشاعر، لنقل المعنى الذى اختمر فى فكره، والإحساس الذى فاض به وجدانه من خلال عرضه لمشهد من الواقع والخيال .

" والصورة المثيرة للاعجاب هى القادرة قدرة كاملة على أداء تجارب الشاعر ومشاعره بما تتجمع فيها من حلاوة الموسيقى وروعة الخيال ووحدة العمل الفنى وشخصية الشاعر، ومن تهيئة الجو الفنى للألفاظ .. ومن ثم يجب أن تكون الصورة عميقة فى نفس الشاعر وعضوية فى صميم التجربة، وواضحة الرؤية للأشياء التى يرنو إليها الشاعر، ويحاول التمثيل لها "(٣) .

---

(١) انظر النقد الأدبى من خلال تجاربى / مصطفى عبد اللطيف السحرتى/ ط/ معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٢م/ ٨٤، ٩٤ .

(٢) انظر الموازنة بين الشعراء / زكى مبارك / ط/ مصطفى البابى الحلبى/ ط الثالثة/١٩٧٣م /٦٩ .

(٣) الأدب العربى الحديث/ د/ محمد عبد المنعم خفاجى/ ط/ مكتبة الكليات الأزهرية/ ١٢١/٢ .

وللصورة جمالها وسحرها فى شعر الماحى، فهى تمثل عبقريته الفنية فى نسج شعره وصياغته " وتتآزر مع بقية الأجزاء الأخرى لتنقل لنا التجربة كاملة "(١)

وتنقسم الصورة الشعرية عند الماحى إلى صورة جزئية وصورة كلية .

فالصورة الجزئية : تعبر عن جزء من أجزاء التجربة أو حدث من أحداثها .

فهى تستقل بمشهد صغير أو فكرة محددة تبرزها فى إطار خاص، يصلح لعرضها فى كيان مستقل، ولا ترسم صورة كلية مركبة .

ومن صوره الجزئية ما جاء فى قصيدة " كرم البداوة "(٢) قوله :

**تِلكَ البداوةُ أخـــــلاقٌ مُطهرةٌ كنفحةِ الوردِ أو عَرْفِ الرَّياحينِ**

فقد صور الشاعر أخلاق بدو " آل عزام " حيث أمضى الشاعر فى شبابه أياما فى ضيافتهم بنفحة الورد وعرف الرياحين لسخاء نفوسهم وصفاء ودادهم .

**ويقول فى القصيدة نفسها :**

**كأنما الروضُ فى تلوينهِ بُسُطٌ تَزينَّتْ برُسُوم خَيْرَ تزيينِ**

فهو يصور الرياض وقد تلونت بزروعها بالبسط حين تتزين بخير الرسومات وأجملها . وهى صور جزئية استخدم الشاعر التشبيه فيها لتوضيح فكرته وتقريبها للأذهان، وترسيخها فى ذهن المتلقى .

---

(١) انظر الشعر العربى المعاصر روائعه ومداخل لقراءاته / د/ الطاهر أحمد مكى / ط/ دار المعارف / ط / الثانية/ ١٩٨٣م /٨٣ .

(٢) الديوان/١١٦ .

ومن صور الماحى الجزئية الرائعة الصورة التى رسمها للإسلام فالإسلام بنوره وهداه شمس تهدى السار حين تشرق وهكذا إشراقة الإسلام هدت الناس وأرشدتهم إلى طريق الصواب، ودعتهم للوئام يقول فى قصيدة " رسالة جمعية الشبان المسلمين "[١]

**أَشرقَ الإسلامُ منه فاهتَدَى بهُداهُ كلُّ سارِ فى الظلامْ**

وهى صورة رائعة للاستعارة التبعية حيث شبه شاعرنا إشراقة الإسلام بإشراق الشمس وكلاهما يهدى السار فى طريقه .

وقد ساعدت هذه الصورة على تجسيد الفكرة وإبراز المعنى الذى أراده الشاعر، فازداد إيضاحاً فى نفس المتلقى .

ومن الصور الجزئية، تشبيهه للحياة عديمة النفع بالدخان فى قصيدة " بناتنا الأمهات "[٢] يقول :

**أكُنْتِ تَرْضَيْنها حَـــــيَاةً عَديمَةَ النَّفْع كالدُّخـــــــانِ ؟**

ثم رسم فى القصيدة نفسها صورة للمنزل الخالى من الأطفال فلا أنيس ولا جليس ولا سمير ولا مدانى، فالحياة فيه جرداء كالقفر .

**جرداءَ كالقـــفرِ ليس فيها ســـــوى أَذَى شامتٍ وشانى[٣]**

أما الصورة الكلية : " فهى مجموعة هذه الصور الجزئية التى يتبع بعضها بعضا فى تتابع وتسلسل وفى اتساع ونمو، حتى تكتمل من مجموعها

(١) الديوان/١٠٩ .
(٢) الديوان/٧٢ .
(٣) الشانى/ المبغض مع سوء الخلق .

الصورة الكلية "[١] التى تشكل لوحة فنية متكاملة، يتوفر فيها التناسق فى بنائها والإيحاء فى تعبيرها والدقة فى اختيار أجزائها، ويتعاون فى تأليف أجزائها الألوان والظلال والحركات .

ومن أمثلة الصورة الكلية قصيدته " فى مناجاة الفجر "[٢] ففى هذه القصيدة صورة كاملة واضحة المعالم، ظاهرة السمات، صادقة الملامح للفجر وهدأته حين تغمر الكون بصمت رهيب، فكم سهر فيه المحب الوامق فأرقته الأشجان، وكم استلهمه العاشق المهجور فأفاض عليه سحر البيان، وكم خفق فيه قلب معذب فأوشكت خفقاته أن ترى وتحسب ، واضطرمت فيه العواطف والأحاسيس فأوحت إلى النفس هذه المناجاة . يقول : [٣]

**يا فجرَ ليلتى التى لم أهجعِ ... أينَ الرقادُ فقد نَبا بى مَضجَعى ؟**
**أيبيتُ قاسى القلبِ فيكَ منعماً ... وأبيتُ مُضطرم الحَشا والأضلعِ ؟**
**وتطُولُ لَيلَتَى التى قَضيتها ... مُضنْنَى الجُفون حَليف شوق مُوجِع**
**ولَطالَ ما قصرتْ ليالِ قَبلها ... ذُقْتُ النَّعيم بها ومَنْ أَهْوىَ مَعى**

❁❁❁

**يا فجرُ هذا البدرُ غاضَ ضياؤه ... وأرى صباحَ غدٍ وَشك المطلعِ**

---

(١) فى الأدب المعاصر فى مصر / د / محروس منشاوى الجالى / ط / دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة / ط / الأولى ١٩٧٩ م / ٧٤ .
(٢) الديوان/١٨٠ .
(٣) الديوان/١٨٠ .

كمْ فيك من إغــفاءةٍ لو نلتها ... حمدتْك عينُ معـــــذَّب لم تهجعِ
اللهَ فى مُهَـــــجٍ يُقطِّعُها الأَسَى ... لو لا الهَوىيـــــا فجرُ لم تَتَقطعِ
هَدَأت قلوبُ الناسِ إلا واحــداً ... يهتاجُهُ ومضـــى البروق اللمَّعِ
وغفتْ عُيُون غيرَ عينِ مالَهَا ... من مُنـــــــجدٍ إلا عَصىُّ الأدمُعِ
يا فجرُ صاحَ الديكُ وابيضَّ الدَّجَى ... ومَزَارُ مـــن أَهْوى بعيد الموضع
لا طيفهُ دانٍ وكيف ؟ ولم تَذُقْ ... عينى الرُّقــاد ولم أُكَفْكِفْ أَدمعى
إنْ أنتَ لم تهب الرقادَ ولا المُنّى ... فَهَب البـــــيانَ أو ادعُه لى أُبْدع
ما بالُ من أَخَذَ الفؤادَ رهيــنةً ... غَلقت لَدَيه رهـــــــينةُ المستودعِ
أَشكو وما تُجْدى الشكايةُ للذى ... بسوى هَـــــــوان محبه لم يَقنعِ
لا سره بادٍ ولا حُبِّى لـــــــــه ... واهٍ ولا عـــــــــهدى له بمضيع
عذُبَ الهَوى حينا كأصفى مشرعٍ ... حتى وردت فـــــكان أكدر مشرعِ
وحسبته ســــــــهلا فلما جئتُه ... ألفيته صَـــــــــعْبا عَصِىَّ المطلعِ
وامُهْجتى وأَنا الـــــذى أهدفْتُها ... للقــــــــــــاء بَتَّار حديدِ المقطع
وامُهْجتى وأنا الـــــذى أطمعتُها ... فى وَصلِ مشهورِ الملاحةِ مُطْمِعِ
يا مُوروداً قلبى الأسَـــى لا تَنْسنَى ... وصُنْ العُـــــهُود فلَستُ بالمتصنع
خَفِقاتُ قلبى مُوشــكاتٌ أن تُرَى ... وتُحَس منذ جَفوت فانظر واسمعِ !
لكَ أن تُعَذّب قـــــادراً وعلى أَنْ ... أَدَعَ المـــــــــلامَةَ لا تمر بمَسْمَعى

هذه الصورة الكلية للثورة التى تعتلج نفس الشاعر فى حين تهدأ قلــوب الناس، وتستسلم أعينهم للأحلام، لا تلبث أن تنتهى على ترقرق عبرة، وهذا من طبع الأنفس الرقيقة الحالمة .

وقد جمع الماحى فيها بين المرئى والمسموع والساكن والمتحرك بالإضافة إلى الألوان والظلال وخفة النغم وعذوبته وحلاوته وتسلسله وانطلاقه .

ومن تلك الكلمات التى دلت على الصوت والحركة قوله :

أهج، نبا، أبيت، مضطرم، تطول، قصرت، غاض، يقطعها، هدأت، صاح الديك، أكفكف أدمعى، تهب، أخذ، غلقت، جئته، خفقات، تمر .. الخ

ومن الكلمات التى تدل على الألوان والظلال قوله :

فجر، ليلتى، مضنى الجفون، البدر، ضياؤه، صباح، ومض البروق اللمع، ابيض الدجى، ... الخ

والصورة الكلية للقصيدة تعد لوحة شعرية رائعة زاهية الأصباغ والألوان . وقد نجح الشاعر أن يلتقط بخاطره الحساس عناصر لصورة من الطبيعة، ومن عاطفته الملهمة ولونها بالظلال النفسية المناسبة لها، فخرجت صورة نابعة من عمق شعور الشاعر وإحساسه .

ونجحت فى نقل الفكرة من خيال الشاعر إلى ذهن القارئ وعاطفته وبقى أن نقول إن الخيال عند الماحى يجنح إلى الواقعية، التى هى من خصائص الكلاسيكية، وهو ما نستشعره ونحن نقرأ لهذا الشاعر وإن كان الماحى لم يتبع تياراً معيناً، ولكنها طبيعة شعره التى تذكرنا بأشعار البحترى وابن المعتز وشوقى . وإن وجد عنده خيال فهو الخيال التفسيرى الذى يبرز الصورة ويوضح معناها للقارئ والسامع، وقد استطاع الشاعر أن يجذبنا إلى أشعاره بجمال لفظه، وحلو معانيه، وحسن صياغته . وأن يعرض الواقع فى ثوب جميل من غير أن يعمد إلى تعسف فى الخيال، وبذلك ظهرت صوره ذات عاطفة قوية مؤثرة وموضحة للفكرة .

## شعر الماحى فى ميزان النقد

طبع ديوان الماحى ثلاث طبعات[١] احتوت كل شعره، وفى الطبعة الأخيرة دراسات نقدية لشعره وشاعريته توضح آراء النقاد فى شعره وشاعريته .

فالماحى شاعر يقف موقفا وسطا، فلا هو ممن يحرص على القديم ويقف على الأطلال ويتوعر فى لفظه، ويتغنى بالغضا والعرار وبنجد وساكنيه، ويستمد تشبيهاته وصور خياله من البادية، ولا هو ممن خلبه التجديد فتبعه من غير رؤية فاختل ميزان الشعر بين يديه، واضطربت مقاييسه، وحرق الجسر بينه وبين ما خلفه السلف من تراث أدبى، ولا شك أن خير الأمور الوسط . وهذا ما قاله عنه الأستاذ عمر الدسوقى[٢] .

ويتسم شعره بطابع أصيل من الروعة المشرقة الجذابة، سواء فى التعابير التى أبرز الشاعر من خلالها أحاسيسه، أو البناء الفنى الذى أفرغ فى إقامته ما يملك من مواهب وملكات، ولهذا تشيع فيه السلاسة والرقة والعذوبة، فلا تكاد تعثر فى طواياه على ما ينبو عنه الذوق، أو تنفر منه الأذن، وإنما تتنسم فى جوه عبق الشاعرية الصافية الخالصة، وتلمح فى ثناياه إشراقة الذهن المتوثب فى تؤدة واتزان . وهذا مانوه به الشاعر الكبير عزيز أباظة[٣] .

وكتب د. أحمد زكى أبو شادى عنه فى مجلة أبو لو عام ١٩٣٤م يقول : للماحى ديباجة صافية ذات روح حلوة، لا يحس القارئ فيها بعدا عن شخصية

---

(١) صدرت الطبعة الأولى لسنة ١٩٣٤م، والطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م والطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م .

(٢) الديوان/٣٤٧ .

(٣) الديوان/٣٣٤ .

صاحبها إذا عرفه، وأسلوبه غنائى، له جرس بديع، تجرى حلاوة موسيقاه ورقتها من ينابيع شعر البحترى وابن زيدون وشوقى .

ويرى الدكتور محمد مندور أن الماحى قد ظل قريباً من شعر الروح العربى وديباجته، وإن يكن قد عزز الدعوة العامة واستجاب لها بأن اتخذ من شعره أداة للتعبير عن ذاته المتميزة(١) .

ويرى الأستاذ مصطفى السحرتى أن شعر الماحى صورة نفسه، وفى خلقه خلق الكلاسيكى الرزين الوقور، وفى شعره نظاماً واتزاناً وطاقة شعرية قوية، وقدرة لغوية هائلة(٢) .

والصفة الغالبة فى طبعه هى الاعتدال فلا تكاد تراه متهاوناً متراخياً فى أمر كما لا تكاد تراه ثائراً متطرفاً فيه، فهو فى كل حالة من حالاته شديد التحفظ مالك قياد نفسه ولسانه جميعاً . وهذا ما قاله عنه صديقه الشاعر محمود عماد . وهذا ما أكدته الأديبة اللبنانية سلوى الحومانى فقالت :

" إن أبرز ما يبدو فى شعره هذا الاتزان العاطفى، هذه العاطفة الصادرة المتماسكة التى تأبى التهافت والميوعة، هذه العاطفة التى تأبى أن تظهر إلا فى ثوب من الحشمة والوقار، بينما لم تخسر من حيويتها أو بهجتها شيئا(٣) .

---

(١) الديوان/٣٥٧ .
(٢) الديوان/٣٧٦ .
(٣) الديوان/٤١٣ .

## الخاتمة

وبعد فهذه الإطلالة على الإبداع الشعرى عند الشاعر محمد مصطفى الماحى انتهت إلى مجموعة نتائج يمكن إيجازها فى النقاط التالية :

**أولاً :** شعر الماحى صورة صادقة من الحياة التى نعيشها ، والمجتمع الذى نحيا فيه ، بما حوى من أحداث كبرى وشخصيات لامعة ، وموضوعات نفيسة، وأحلام وأمال وأشجان .

**ثانياً :** جمع شعر الماحى بين الذاتية الوجدانية، والواقعية الحقيقية بمعنى أن ما يشعر به الفرد صورة مصغرة لشعور الجماعة .

**ثالثاً :** التزم الماحى فى قصائده غالباً بالوحدة الموضوعية، فقصائده تمثل وحدة الموضوع، والدخول إليه مباشرة دون التعرض لمقدمات .

**رابعاً :** تميز شعر الماحى بمنهج فنى يقوم على التقليد فى الشكل والتجديد فى المضمون، وبهذا المنهج استطاع أن يحافظ على صياغة الشعر، وأن يعبر عن آمال الأمة وأمانيها وقضايا العصر .

وهذا دليل على طواعيه اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن قضايا العصر ومشكلاته، والتعامل مع الحضارة ومستحدثاتها ولعل فى ذلك ما ينفى عن لغتنا العربية تهمة القصور عن مواكبه التطور الحضارى للأمة الإسلامية والعربية[١] .

**خامساً :** تمتاز شاعرية الماحى بالاعتدال، فقد وقف موقفاً وسطا بين القديم والجديد، وعبر عن ذات نفسه فى صدق وإخلاص، واستمد صوره من بيئته، ومعانيه من ثقافة عصره .

---

(١) انظر الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ/٣٠١ .

**سادساً :** تبرز العاطفة الصادقة فى شعره، فتشعر بالتجربة، وتؤثر فيك، وينتقل إليك انفعال الشاعر حزنا وفرحاً، وهذا إن دل فإنما يدل على إخلاص الشاعر لنفسه، فهو لا يصدر فى شعره إلا عن شعور قوى، وأنه لا يقول لمجرد القول، ولكن يكمن وراء كل بيت تجربة عاشها وتعايش معها .

**سابعاً :** أما معانى قصائده فدانية لا تكلف فيها ولا إغراب ، وإنما يتناولها فى يسر ، ويعرضها فى بساطة ، وتفهمها من غير عنت ، تدل على فكر ثاقب وعقل ناضج ، وذهن مثقف .

**ثامناً :** يجنح الماحى إلى الواقعية، التى هى من خصائص الكلاسيكية وهو ما تستشعره وأنت تقرأ لهذا الشاعر وإن كان الماحى لم يتبع تياراً معيناً، ولكنها طبيعة شعره التى تذكرنا بأشعار الفحول من الشعراء . وإن وجد عنده خيال فهو الخيال التفسيرى الذى يبرز الصورة ، ويوضح معناها للقارئ والسامع ، وقد استطاع الشاعر أن يجذبنا إلى أشعاره بجمال لفظه، وحلو معانيه وحسن صياغته ، وأن يعرض الواقع فى ثوب جميل من غير أن يعمد إلى تعسف فى الخيال ، وبذلك ظهرت تجاربه قوية مؤثرة .

# أهم المصادر والمراجع

**أولاً : الكتب**

١- **القرآن الكريم .**

٢- الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ من ١٨٨٢ م – إلـــى ١٩١٩م، د/ نبيل سليمان طبوشه ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

٣- اتجاهات وآراء فى النقد الحديث . د/ محمد نايـــل . مطبعـــة الرســـالة ط/١٩٧١م .

٤- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر . د/ محمـــد محمـــد حســـين ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت ط/ السادسة ١٩٨٣م .

٥- الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق / د. علـــى علـــى صـــبح / ط/ الجريسى /١٩٩٨م .

٦- الأدب العربى الحديث / د/ محمد عبد المنعم خفاجى / ط/ مكتبة الكليات الأزهرية / بدون .

٧- الأصول الفنية للأدب – عبد الحميد حسن . ط/ مكتبة الأنجلو المصـــرية / القاهرة/١٩٤٩م .

٨- أصول النقد الأدبى / أحمد الشايب ط/ مكتبة النهضة المصرية / الثامنة/ ١٩٧٣م .

٩- آفاق الأدب الإسلامى/ د/ نجيب الكيلانـــى / ط/ مؤسســـة الرســـالة ط/ الأولى/١٩٨٥م .

١٠- تحت راية القرآن / مصطفى صادق الرافعى / ط/ دار الكتاب العربـــى ط/ السابعة / ١٩٧٤م .

١١- حسن كامل الصيرفى وتيارات التجديد فى شعره . د/ محمد سعد فشوان ط/ مطابع سجل العرب . ط/ الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٢- ديوان الماحى/ محمد مصطفى الماحى / ط/ دار الفكر العربى ط/ الثالثة/ ١٩٦٨م .
١٣- الرؤيا الإبداعية فى شعر حسن عبد الله القرشى / د. عبد العزيز شرف ط/ دار المعارف ط/ الأولى ١٩٩٢م .
١٤- سر تأخر العرب والمسلمين / محمد الغزالى / ط/ دار الصحوة ط/ الأولى/١٩٨٥م .
١٥- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى/ عباس محمود العقاد ط/ نهضة مصر / ١٩٦٣م .
١٦- شعراء الوطنية فى مصر . عبد الرحمن الرافعى/ ط/ دار المعارف ط/ الثالثة /١٩٩٢م .
١٧- الشعر العربى المعاصر روائعه ومداخل لقراءته، د. الطاهر أحمد مكى . ط/ دار المعارف/ الثانية ١٩٨٣م .
١٨- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث . مصطفى عبد اللطيف السحرتى ط/ مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٨م .
١٩- العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث من ثورة ١٩١٩م إلى ثورة ١٩٥٢م . د/ سعد الدين محمد الجيزاوى ط/ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية / ط/١٩٦٤م .
٢٠- العالم الإسلامى المعاصر/ د/ جمال حمدان/ ط/ عالم الكتب ١٩٩٠م .

٢١- العمدة فى محاسن الشعر وأدابه ونقده . أبى على الحسن ابن رشيق القيروانى الأزدى . تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ط/ دار الجيل بيروت – بدون .

٢٢- عن بناء القصيدة العربية الحديثة . د. على عشرى زايد ط/ دار مرجان . الأولى ١٩٧٨م .

٢٣- فى الأدب المعاصر فى مصر / د / محروس منشاوى الجالى / ط ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر / ط الأولى ١٩٧٩ م .

٢٤- فى النقد الأدبى / د. شوقى ضيف . ط/ دار المعارف . الخامسة ١٩٧٧م .

٢٥- قصة الكفاح بين العرب والاستعمار / محمد سعيد العريان / د/ جمال الدين الشيال/ ط/ دار المعارف/١٩٦٠م .

٢٦- قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة / ط/ دار العلم للملايين الثامنة/ ١٩٨٩م .

٢٧- قضايا النقد الحديث / د/ محمد السعدى فرهود/ ط/ دار الطباعة المحمدية/١٩٧٩م .

٢٨- قضية القدس/ د/ عز الدين فوده/ ط/ دار الكاتب العربى ١٩٦٧م .

٢٩- مقدمة العلامة ابن خلدون/ ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الرابعة/١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

٣٠- المدخل إلى النقد الأدبى الحديث/ د/ محمد غنيمى هلال / بدون .

٣١- منهج الفن الإسلامى/ محمد قطب / ط/ دار الشروق/ ط/ الخامسة/١٩٨١م .

٣٢- الموازنة بين الشعراء / زكى مبارك ط/ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر/ الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٣٣- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية / د/ أحمد شلبى ط/ مكتبة النهضة المصرية/ ط الثانية ١٩٨٢م .
٣٤- موسيقى الشعر/ د/ إبراهيم أنيس/ ط/ مكتبة الأنجلو المصرية / السادسة / ١٩٨٨م .
٣٥- النقد الأدبى أصوله ومناهجه / سيد قطب / ط/ دار الشروق ط/ السابعة/١٩٩٣م .
٣٦- النقد الأدبى الحديث/ د/ محمد غنيمى هلال/ ط/ نهضة مصر / بدون .
٣٧- النقد الأدبى من خلال تجاربى / مصطفى عبد اللطيف السحرتى ط/ مطبعة لجنة البيان العربى/١٩٦٢م .
٣٨- النقد التطبيقى والموازنات/ محمد الصادق عفيفى/ ط مؤسسة الخانجى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

**ثانياً : الدوريات :**

١- مجلة أبولو/ العدد – الثامن/ المجلد الثانى إبريل ١٩٣٤م .
٢- جريدة الأهرام – ١٩ إبريل سنة ١٩٣٤م .